الكتاب الجامع للفضائل

(٤٠)

فضل المحبة في الله ومصاحبة الصالحين

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل المحبة في اللّه ومصاحبة الصالحين

تمهيد

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَن يهدِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ -تعالى-، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل المحبة في الله ومصاحبة الصالحين:

أولًا: فضل وفوائد مصاحبة الصالحين:

١- مصاحبة الصالحين وصية النبي الأمين ﷺ والسلف الصالح.

٢- مصاحبة الصالحين دليلٌ على صلاحك. ٣- الصاحب الصالح يجعلك تكف عن المعصية.

٤- الصاحب الصالح يبصرك بعيوبك لتصلح من شأنك.

٥- الصاحب الصالح يحثك على أعمال البر. ٦- الصاحب الصالح يحفظك في غيبتك.

٧- الصاحب الصالح يدعو لك في غيابك ويرشدك في حضورك.

٨- الصاحب الصالح ينفعك دعاؤه في حياتك وعند موتك.

٩- مجالس الصالحين هي مجالس المغفرة والرحمة.

١٠- مجالس الصالحين يهابُها الشياطين فاحرصوا عليها وعلى الجماعة.

١١- مجالسة الصالحين نعمة كان السلف يسألون الله- تعالى-أن ييسرها لهم.

١٢- مصاحبة الأخيار تذكرك الله- تعالى- فتجتهد في الطاعة.

١٣- مصاحبة الأخيار وزيارتهم في الله سبب لدعاء الملائكة لك.

١٤- الصالحون لا يشقى بهم جليسهم.

١٥- لو لم يكن لك من مصاحبة الصالحين الأخيار إلا طمعًا في شفاعتهم: إذا زلت الأقدام - أي على الصراط - لكفى به من فضل.

١٦- مصاحبة الأخيار ومحبتهم يجعلك معهم في الجنة وإن لم تعمل بعملهم.

وهناك أيضًا من الفوائد والفضائل الكثيرة لمصاحبة الصالحين.

ثانيًا: فضل وثمرات المحبة في الله:

١- المحبة في الله سبب لمحبّة الله للعبد.

٢- المحبة في الله والبغض في الله دليل على كمال الإيمان.

٣. المحبة في الله سببٌ لتعرض العبد لكرم الله.

٤. أن الله تعالى يُظل المتحابين فيه في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

٥. كل محبة ستنقطع يوم القيامة إلا المحبة في الله فهي باقية لا تنقطع.

٦ . المتحابون في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء.

٧- والمتحابون في الله في الدرجات العلى من الجنة.

نصائح وتوجيهات تزيد من المحبة والألفة بين المتحابين:

١- أن تسلم على أخيك إذا لقيته، وتوسع له في المجالس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه.

٢- أن تتعاهده بالهدية. ٣- أن تقضي له حاجته وتعينه عليها.

٤- أن توافقه ولا تخالفه فيما هو مشروع غير ممنوع.

٥- أن تنصره إذا كان مظلومًا، وتكفه عن الظلم إذا كان ظالمًا.

٦- أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله.

٧- أن تشكره على صنيعه في حقّك، بل على نيته وإن لم يتم ما أراد في حقك.

٨- أن تعد له طعامًا وتدعوه إليه. ٩- أن تزوره في الله.

١٠- أن تحفظ سره. ١١- أن تستر مساوئه، ولا تنشر عيوبه.

١٢- ألا تبخل عليه بالمال إذا كان في حاجة إليه. ١٣- أن تلقاه وأنت منبسط الوجه.

١٤- السكوت عن مماراته وجداله. ١٥- أن تذب عنه في غيبته ما يسوؤه إذا بلغه.

١٦- أن تحب له الخير كما تحبه لنفسك. ١٧- أن تدخل السرور على قلبه.

١٨- أن تكون وفيًا مخلصًا له. ١٩- أن يُعْلِمه بعيبه، وينصحه سرًا.

٢٠- أن تعفو عن زلاته وهفواته. ٢١- أن تقبل عذره إذا اعتذر إليك.

٢٢- أن تحسن الظن بأخيك. ٢٣- ألا تكّلفه ما يشق عليه أو تتكلف له.

٢٤- أن تحرص أنت من تحبه على طاعة الله، والحذر من معصيته.

٢٥- إخبار من تحبه بأنك تحبه في الله.

آداب الجوارح مع الإخوان:

إيثار وإخاء ومحبة تفوق الخيال

١- موقف الأنصار مع المهاجرين أجمعين.

٢- موقف رجل من أصحاب النبي ﷺ آثر أخاه بطعامه وطعام أبنائه.

٣- الخليل بن أحمد ومواساته لأخيه. ٤- أبو محمد المروزي وقمة المحبة والإيثار.

٥- إبراهيم بن أدهم –رحمه الله – وتضحيته من أجل إخوانه.

٦- تضحية أبي بكر القرطبي وأبي عمرو الآدمي.

٧- أبو الحسن النوري يؤثر إخوانه بالحياة لحظات.

٨- ولله در الإمام القدوة عابد الكوفة أبي أسماء إبراهيم التيمي وخبره.

٩- شهداء اليرموك وقمة المحبة والإيثار بالنفس.

فضل المحبة في اللّه ومصاحبة الصالحين:

الحمد لله الذي ألف بين قلوب عباده فأصبحوا بنعمته إخوانًا، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصحابًا، وفي الآخرة رفقاءً وخلانًا.

اعلم أخي الحبيب! أن مصاحبة الصالحين والأُخوة في الدين من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات، في مجاري العادات، وبالمحبة في الله تصفو النفوس عن شوائب الكدرات ونزغات الشيطان. وبمصاحبة الصالحين ومحبتهم يتقرب العبد بذلك إلى الله زلفى، ويحوز وإياهم في الجنة الدرجات العلى.

والمحبة في الله صفة ملازمة للإيمان، إذ لا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة. **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠) وكذلك لا صداقة بلا تقوى، ولا تقوى بلا صداقة، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٦٧)

فالأخوة إذا انعدمت من الإيمان التقت على المصالح الذاتية، والمنافع الشخصية، والصداقة إذا انسلخت من التقوى قامت على توريث العداوة والبغضاء في أول صراع على الدنيا يبدو، وفي أول تنافس على المغانم والمصالح يظهر. وإن وجدتَ في المسلم إيمانًا وتقوى، ولم تجد بجانبه أخوة صادقة، وصداقة مخلصة، فهو إيمان ناقص، وتقوى مزعومة.

أولًا: فضل وفوائد مصاحبة الصالحين:

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: **" ما أُعطي عبد بعد الإسلام خير من أخ صالح يذكره بالله، فإذا رأى أحدكم من أخيه وُدًّا فليتمسَّك به ".**

وسُئل أحد الحكماء: أي الكُنُوز خيرٌ؟ قال:" أَمَّا بعد تقوى الله، فالأخ الصالح ".

(كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا: ١٣٣)

وروي عن عليٍّ ﷺ ***أنه قال:*** **" عليكم بالإخوان، فإنهم عُدّة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾** (الشعراء ١٠٠،١٠١)

ويقول الحسن –رحمه الله–: **" إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة، ويعينوننا على الشدائد في العاجلة ".**

ويقول أبو زرعة بن عمرو بن جرير–رحمه الله–: " اصحب من إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإذا أصابتك خصاصة عانك، وإذا رأى منك حسنة سُر بها، وإن رأى منك سقطة سترها، ومن إذا قلت له صدق قولك، ومن هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا، وكل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته ".

ومصاحبة الصالحين فيها من الفوائد والفضائل الكثيرة ومنها:

١ - مصاحبة الصالحين وصية النبي الأمين -صلى الله عليه وسلم- والسلف الصالح:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٣٦) (صحيح الجامع: ٧٣٤١)

معنى الحديث: لا تدعُ إلى مؤاكلتك إلا الأتقياء؛ لأن المؤاكلة توجب الألفة وتجمع بين القلوب فتوخّ أن يكون خلطاؤك وذوو الاختصاص بك أهل التقوى.

قال الخطابي-رحمه الله-: معلقًا على الحديث السابق: وقوله: " ولا يأكل طعامك إلا تقي " إنما جاء هذا في طعام الدعوة دون طعام الحاجة، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ (الإنسان: ٨) ومعلوم أن أسراهم كانوا كفارًا غير مؤمنين ولا أتقياء، وإنما حذر النبي ﷺ من صحبة من ليس بتقي، وزجر عن مخالطته ومؤاكلته، فإن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب ". اهـ (عون المعبود شرح سنن أبي داود).

- ***وقال عمر ﷺ:*** **" عليك بإخوان الصدق فَعِش في أكنافهم، فإنهم زينٌ في الرَّخاءِ، وعُدَّةٌ في البَلاءِ ".**

(كتاب الاخوان لابن أبي الدنيا ص ١١٦)

- ***وقال لقمان لابنه:*** **" يا بُنيّ! لا تعد بعد تقوى الله من أن تتخذ صاحبًا صالحًا ".** (المصدر السابق ص ١٠)

وقال أيضًا لابنه: **" أي بُنيَّ! من لا يملك لسانه يندم، ومن يُكثر المِراءَ يُشتم، ومن يصاحب صاحب السُّوءِ لا يسلم، ومن يصاحب الصالح يغنم ".** (المنتقى من مكارم الأخلاق ص ٢٢)

- ***وقال رجلٌ لداود الطائي:*** أوصني، قال:" اصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة ".

فعليك أخي الحبيب بمصاحبة ومجالسة الصالحين، فإن المجالسة تولد المجانسة.

وكما قيل:

صحبتكم فـــازددت نـــــورًا وبهجة ومن يصحب الطيب المعطر يَعبقُ[1]

وقيل أيضًا:

عاشر أخا الدين كي تحظى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوبِ

كـــــالريح آخـــذةٌ مما تـمر بـــه نتنًا من النتن أو طِيبًا من الطِّيبِ

١- يعبق: يقال: عبق به الطيب عبقًا: أي لزق ولصق به.

٢ - مصاحبة الصالحين دليلٌ على صلاحك:

فالصاحب مرآة تدل عليك، وقد قيل: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت.

أخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" الرَّجُلُ على دِينِ خليلِهِ، فلينظُرْ أحدُكمْ من يُخالِل ".** (صحيح الجامع:٣٥٤٥) (الصحيحة:٩٢٧)

فبين النبي ﷺ أن المرء مُشاكل ومماثل لخليله وجليسه في الاستقامة والصلاح وعدمهما

قال سفيان بن عيينة –رحمه الله –: " انظروا إلى فرعون مَعَهُ هامان، انظروا إلى الحجَّاج مَعَهُ يزيد بن أبي مسلم شرٌّ منه، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صَحِبَه رجاء بن حيوة فقوَّمه وسدَّده ".

(كتاب العزلة ص١٤١)

وأخرج الإمام البخاري ومسلم من حديث أبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنودٌ مجندةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ".**

قال مالك–رحمه الله–: " الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، وكل إنسان مع شكله ". (روضة العقلاء لابن حبان ص ١٠٩)

وقال الأوزاعي –رحمه الله–: " الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب، إذا لم تكن مثله شانته ".

وقال ابن مسعود ﷺ: **" ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب"**

(أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٦٧)

قال عدى بن زيد–رحمه الله–:

عن المرء لا تسأل و سَل عن قرينه ... فكل قرين بالمُقارن يقتدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيَارَهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وقال علي ﷺ:

فلا تصْحَبْ أخَا الجَهْلِ ... وإيَّاك وإيَّاهُ

فكم من جَاهلٍ أرْدَى ... حليمًا حين آخَاهُ

يقاسُ المرءُ بالمرْءِ ... إذا ما المرءُ ماشاهُ

وللشيء على الشيءِ ... مقاييس وأشْباهُ

وللقلبِ على القلبِ ... دليلٌ حين يلْقاهُ

وقال آخر:

أنت في الناس تقاس ... بالذي اخترت خليلا

فاصحب الأخيار تعلو ... وتنل ذكرًا جميلا

٣- الصاحب الصالح يجعلك تكف عن المعصية:

فقد أخرج الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال لرجل يوصيه: **" أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك " فالإنسان يستحي ممن يكبر في نفسه فهو يستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل فيترك المعصية حياءً منه ".**

فإذا صحبت الصاحب الصالح فإنك تتخلي عن الرذيلة وتتخلع عن المعصية، فهو يمنعك من القيل، والقال والخوض في الأعراض، واغتياب المؤمنين والمؤمنات، وتترك هذا كله مراعاة لحرمة هذا الصديق وحياءً منه، وتقديرًا لمكانته ومنزلته.

وبذلك تعتاد ترك المعاصي لكثرة مجالسة أهل الصلاح والخير.

يقول لقمان لابنه: **" يابُنَيَّ! من لا يملك لسانه يَنْدَم، ومن يكثر المراء يُشْتَمْ، ومن يُصَاحِبِ صاحب السوء لا يَسْلَمْ، ومن يصاحب الصالح يَغْنَمْ ".** (المنتقى من مكارم الأخلاق: ٢٠٢)

٤- الصاحب الصالح يبصرك بعيوبك لتصلح من شأنك:

فقد أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن يَكُفُّ عليه ضيعتَه[1] ويحوطه من ورائه ".** (حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد:١٧٨).

فالمؤمن مرآة لأخيه يرى من خلالها عيوبه

قال الحسن البصري -رحمه الله -:

" المؤمن مرآة أخيه إن رأى فيه ما لا يعجبه سدّده وقوّمه وحاطه وحفظه في السر والعلانية ".

وقال الحسن أيضًا في كتابه الزهد ص ١٤٣ :

" قد كان من قبلكم من السلف الصالح يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: يا أخي ما كل ذنوبي أبصر، ولا كل عيوبي أعرف فإذا رأيت خيرًا فمرني وإذا رأيت شرًا فانهني وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: رحم الله امرءًا أهدى إلينا مساوينا، وكان أحدهم يقبل موعظة أخيه فينتفع بها ".اهـ.

قال علقمة العطاردي -رحمه الله- في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة: " يا بني! إذا عَرَضَتْ لك إلى صُحبةِ الرجال حاجةٌ، فاصحب مَنْ إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنةٌ مانك، واصحب من إذا مددت يدك بخير مدّها، وإن رأى منك حسنةً عدَّها، وإن رأى منك سيئةً سدَّها، اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكتَّ ابتداك وإن نزلت به نازلة واساك، اصحب من إذا قُلتَ صدَّق قولك، وإذا حاولتما أمرًا أمَّرك، وإذا تنازعتما آثرك ".

١- يكف عليه ضيعته: أي يجمع عليه معيشته ويضمها إليه (النهاية لابن الأثير)

٥- الصاحب الصالح يحثك على أعمال البر:

يذكرك ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وينمى فيك مكارم الأخلاق من صدق الحديث وكرم السجايا والعفاف والصلة والشجاعة وقول الحق، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق.

وسُئل أبو حمزة الشيباني عن الإخوان في الله ﷻ من هم؟ قال: " هم العاملون بطاعة الله ﷻ، المتعاونون على أمر الله ﷻ، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم ".

ويقول الحسن البصري –رحمه الله–: " المؤمن مرآة أخيه إن رأى فيه مالا يعجبه سَدَّدَهُ وقَوَّمَهُ، وحاطَهُ وحفظَهُ في السِّرِّ والعلانية ". (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا:١٣١)

٦- الصاحب الصالح يحفظك في غيبتك:

فلا يفش لك سرًا ولا ينتهك لك حرمة ويُدافع عنك في موطن تحتاج فيه إلى من يُدافع عنك.

قال بعض الأدباء: " لا تصحب من الناس إلا مَن يكتم سرّك، ويستر عيبك فيكون معك فى النوائب، ويؤثرك بالرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ".

٧- الصاحب الصالح يدعو لك في غيابك ويرشدك في حضورك:

وينصحك إذا استنصحته، بل وإن لم تستنصحه أيضًا، ويصلى عليك بعد موتك ويستغفر لك

قال بعض العلماء: " لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئًا فى أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلمه شيئًا في أمر دينه فيقبل منك ".

٨- الصاحب الصالح ينفعك دعاؤه في حياتك وعند موتك:

فإن من عادة أهل الخير دعاء بعضهم لبعض.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكّل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل ".**

وفي رواية عند مسلم أيضًا: **" من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملكُ الموكّلُ به: آمين، ولك بمثله ".**

وفي رواية عند مسلم أيضًا: **" ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلّا قال الملك: ولك بمثل ".**

وأخرج البزار من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يُرَدّ ".** (صحيح الجامع: ٣٣٧٩) (الصحيحة: ١٣٣٩)

ورواه ابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا دعا الغائبُ لغائبٍ قال له الملك: ولكَ بمثل ذلك ".** (صحيح الجامع: ٥٣٥)

قال المناوي -رحمه الله- في كتابه" فيض القدير: ١/٣٤٣":

" ظاهر الحديث يشمل الدعاء للغائب عن البلد " وهو المسافر " وعن المجلس ويقول له الملك المؤكل به " ولك مثل ذلك " أي أدعو الله أن يجعل لك بمثل ما دعوت به لأخيك ". اهـ بتصرف.

ويقول محمد بن يوسف الأصفهاني -رحمه الله-:

" وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثَك ويتنعمون بما خلَّفت، وهو منفردٌ بحزنك مهتمٌّ مما قدَّمت وما صرتَ إليه، يدعو لك في ظُلمةِ الليل وأنت تحت أطباق الثرى ". (الإحياء للإمام الغزالي: ٢/٢٠٣)

وقال القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي-رحمه الله-: قال لي الإمام أحمد بن حنبل: أبوك أحدُ السِّتة الذين أدعو لهم سَحَرًا ". (سير أعلام النبلاء: ١١/٢٢٧)

قال عبيد الله بن الحسن -رحمه الله- لرجل: " استكثر من الصديق الصالح فإن أيسر ما تصيب منه أن يبلغه موتك فيدعو لك ". (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا:١١٣)

وقال يحيى بن معاذ -رحمه الله-: " بئس الصديق تحتاج أن تقول له: اذكرني في دعائك، وأن تعيش معه بالمداراة، أو تحتاج أن تعتذر إليه ".

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه في ترجمة الطيب إسماعيل أبي حمدون - وهو أحد القراء المشهورين - قال: " كان لأبي حمدون صحيفةٌ مكتوب فيها ثلاثُمائة من أصدقائه، وكان يدعو لهم كل ليلة فتركَهم ليلةً فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون لِمَ لم تُسرِجْ مصابيحَك الليلة؟ قال: فقعد فأسرج المصباح، وأخذ الصحيفةَ فدعا لواحدٍ واحد حتى فرغ ". (تاريخ بغداد:٩/٣٦١)

٩- مجالس الصالحين هي مجالس المغفرة والرحمة:

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: " لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السَكينة وذكرهم الله فيمن عنده ".

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: " ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ولا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفورًا لكم قد بُدّلت سيئاتكم حسنات ".

وعند الطبراني في الكبير بلفظ: " ما جلسَ قومٌ يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يُقال لهم: قوموا قد غَفَر الله لكم ذنوبكم، وبُدِّلت سيئاتُكم حسنات ". (صحيح الجامع: ٥٦١٠)

١٠ - مجالس الصالحين يهابُها الشياطين فاحرصوا عليها وعلى الجماعة:

فمجالس الصالحين حصن حصين من وساوس الشياطين وأذاهم، فإذا فارق الإنسان مجالس الصالحين أو اعتزلهم فإنه عُرضة للوساوس الرديئة والأفكار المنحرفة التي يُلقيها الشيطان، **ولذلك قال ﷺ كما في مسند الإمام أحمد وفي سنن أبي داود:** " عليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية ".

(حسنه الألباني في المشكاة:١٠٦٧)

وفي رواية: " الشيطان ذئبُ ابن آدم كذئب الغنم، وإن ذئبَ الغنمَ يأخذُ من الغنم الشاةَ المهزولة والقاصية ولا يدْخلُ في الجماعة، فالزموا العامة والجماعة والمساجدَ ".

فمجالس الصالحين يهابها الشياطين.

١١ - مجالسة الصالحين نعمة كان السلف يسألون الله -تعالى- أن ييسرها لهم:

فقد أخرج البخاري أن علقمة قال: " قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت: اللهم يَسِر لي جليسًا صالحًا، فأتيت قومًا فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، فقلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحًا فيسرك لي، قال: فمن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أوليس عندكم ابن أم عبد[١] صاحب النعلين والوساد والمطهرة، أوليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان؟ يعني على لسان نبيه[٢] أوليس فيكم صاحب سر النبي لا يعلم أحدٌ غيره؟ [٣] ".

فمجرد وجود هؤلاء الأفاضل هو بركة على أهل الكوفة وشرف لهم في صحبتهم

١ - يعني: عبد الله بن مسعود.
٢- يعني: عمار بن ياسر.
٣ - يعني: حُذيفة بن اليمان.

١٢- يكفيك من مصاحبة الأخيار أنك برؤيتهم تتذكر الله فتجتهد في الطاعة:

فقد أخرج الطبراني عن ابن عباس –رضى الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: " **أولياء الله ﷻ الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ تعالى** ". (صحيح الجامع: ٢٥٥٧) (الصحيحة:١٧٣٣)

فإذا كان هذا الخير يحصل لمن رآهم، فكيف بمن يجالسهم؟

وأخرج ابن ماجه بسنده أن النبي ﷺ قال: " **ألا أُنبئكم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: خياركم الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله تعالى** ".

فدل النبي على أن للأولياء والأخيار تأثيرًا على من رآهم، وأن من يراهم يتذكر الله ﷻ بمجرد هذه الرؤية، ولعل سبب ذلك ما يجده فيهم من الهدى والسمت والهيبة ونور الإيمان وحسن السيرة، فإذا كان هذا يحصل لمن رآهم فكيف بمن يجالسهم ويخالطهم.

قال سفيان –رحمه الله–: " لربما لقيت الأخ من إخواني فأقيم شهرًا عاقلًا بلقائه ".

وقال أبو سليمان –رحمه الله–: " كنت أنظر إلى أخ من إخواني بالطرق فأعمل على رؤيته شهرًا ".

وذكر الغزالي –رحمه الله–عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال: " جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله ". (الإحياء: ٢ / ١٥٩)

وقال بلال بن سعد –رحمه الله–: " أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارًا ". (الزهد لابن مبارك ص ١٦٧)

١٣- مصاحبة الأخيار وزيارتهم في الله سبب لدعاء الملائكة لك:

أخرج الترمذي من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوّأت من الجنة منزلًا** ". (صحيح الجامع:٦٣٨٧)

وأخرج البزار و أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **ما من عبد أتى أخاه يزوره في الله إلا ناداه منادٍ من السماء أن طبت وطابتْ لك الجنة وإلا قال الله في ملكوت عرشه: عبدي زار فيّ وعَلَىّ قِرَاهُ** [١] **فلم يرض له بثوابٍ دون الجنة** ".

- **فإذا زار الرجل آخاه في الله فلم يرض الله له ثوابًا إلا الجنة:**

فقد أخرج الطبراني من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصْر، لا يزوره إلا لله في الجنة، ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: كل ودود ولود إذا غضبت أو أسئ إليها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٩٤١)

١- قراه: أي: ضيافته.

١٤ - الصالحون لا يشقى بهم جليسهم:

فقد أخرج البخاري و مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا، هلموا إلى حاجتكم فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم ﷻ وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ تقول (يعني الملائكة): يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟! يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا، فيقول: فماذا يسألون؟ يقولون: يسألونك الجنة، يقول: وهل رأوها؟ يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، يقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد عليها طلبًا وأعظم فيها رغبة، قال: فمما يتعوذون؟ قالوا: يتعوذون من النار، فيقول: وهل رأوها؟ يقولون: لا والله ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فِرارًا وأشد لها مخافة، فيقول: فأُشهِدُكم أنّي قد غفرتُ لهم، يقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم الجلساءُ لا يشقى بهم جليسُهم ".

- *وفي رواية عند مسلم:* يقولون:" ربِّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاءٌ إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول:" ولهُ غفرتُ، همُ القوم لا يشقى بهم جليسُهم ".

١٥-لو لم يكن لك من مصاحبة الصالحين الأخيار إلا طمعًا في شفاعتهم: إذا زلت الأقدام -أي على الصراط - لكفى به من فضل:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه أن النبي ﷺ قال:

"... ثم يُضرب الجسرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللهمَّ سلِّم سلِّم، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحضٌ مَزلَّةٌ، فيه خطاطيف وكلاليب، وحسَكةٌ تكون بنجد، فيها شوَيكةٌ، يقال لها: السَّعدانُ، فيمُرُّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوشٌ مرسلٌ، ومكدوسٌ في نار جهنم، حتى إذا خلصَ المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدة لله في استيفاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويُصلُّون، ويحجُّون، فيقال لهم: أَخْرِجُوا مَن عَرَفْتُم، فتحرَّمُ صُوَرُهُم على النار، فيُخْرِجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول الله ﷻ: ارجعوا، فمَن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير -وفي رواية: من إيمان[1]- فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممَّن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خيرٍ فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا، فمَن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا ".

- وأخرج ابن أبي عاصم من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ليخرجن الله من النار قومًا منتنين قد محشتهم النار، فيدخلون الجَنَّة بشفاعة الشافعين، يسمون فيها الجهنميون ".

- ويدل على شفاعة المؤمنين في الآخرة؛ أن الله ﷻ قال في تتمة الحديث السابق:

" شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين..." الحديث

- وأخرج الترمذي من حديث أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إن من أُمَّتِي مَن يشفع للفئام من الناس، ومنهم مَن يشفع للقبيلة، ومنهم مَن يشفع للعصبة، ومنهم مَن يشفع للرجل حتى يدخلوا الجَنَّة ".

١- وقول النبي ﷺ "مثقال دينار من إيمان"، قال القاضي عياض: "الصحيح أن معناه: شيء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح، أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى، أو نية صادقة، ويدل عليه ما جاء في رواية ثانية: "يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن كذا وكذا..." (انظر "صحيح مسلم بشرح النووي:٣/٣١).

- ***وأخرج الإمام مسلم عن الصنابحي أنه قال:*** **" دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت، فقال: مهلًا لم تبكي؟ فوالله لئن شهدتُ لأشهدن لك، ولئن شفعتُ لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك، ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدَّثْتُكُمُوه، إلا حديثًا واحدًا، وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن شَهِدَ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ حرَّم الله عليه النار ".**

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

أحب الصالحين ولستُ منهم ... لعلي أن أنـال بـهم شفاعة

وأكره مـن تجارتهم معـاصي ... وإن كنا سويًا في البضاعة

فقال له الإمام أحمد- رحمه الله-:

تحب الصالحين وأنت منهم ... ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من تجارتهم معاصي ... وقاك الله من شر البضاعة

وقد مر بنا قول عليٍّ ﷺ حيث قال: " عليكم بالإخوان فإنهم عُدّة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ (الشعراء: ١٠٠،١٠١)

وهناك أيضاً من الفوائد والفضائل لمصاحبة الصالحين ومنها:

١٦- أن بمصاحبة الصالحين ومجالستهم تتعرف على غيرهم من أهل الصلاح والخير فلا تحرم من دعائهم، ولا تعدم من خيرهم وفضلهم ومجالستهم وعلمهم وسمتهم.

١٧- بمصاحبة الصالحين ومجالستهم لا تضيع الأوقات إلا فيما يعود عليك بالنفع من علم وتعلم، أو عيادة مريض أو تشييع جنازة، وغير ذلك من الأعمال الصالحة وكان ابن المبارك يقول:" ألذ الأشياء مجالسة الإخوان.

١٨- بمصاحبة الصالحين أنت في زيادة دائمة في العلم والعبادة، لأنهم يتنافسون ويتسابقون في ميادين الخيرات، وكان الحسن البصري -رحمه الله- يقول:" من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره ".

وقال عثمان بن الحكيم -رحمه الله-: *" اصحب من هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا ".*

١٩- الصحبة الطيبة يأخذون بيدك إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتزود من النوافل، والسعي إلى مرضاة الله تعالى.

٢٠- مصاحبة الصالحين زين في الرخاء، وعدة في البلاء، يقول عمر بن الخطاب ﷺ:" عليك بإخوان الصدق، فعش في أكنافهم، فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء.

- ***وقال رجل لداود الطائي-رحمه الله-:*** أوصني، قال: اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة ".

وبالجملة فمصاحبة الصالحين كلها خير وفوائد

وقد ضرب النبي ﷺ مثالًا يبين فيه فضل مصاحبة الأخيار وشؤم مصاحبة الأشرار

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك[1] ونافخ الكير[2] فحامل المسك إما أن يُحْذيك[3] وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة ".

وأخرج النسائي وابن ماجه من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيءٌ أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه ".** (صحيح الجامع: ٥٨٣٩)

فالجليس الصالح كحامل المسك إذا لم تشتر منه ولم يمنحك منه عطيةً استمتعت من مجالسته بريح ينبعث منها أريجٌ زكي ويفوح منها طيبٌ عطر، وشذى فوّاح ونسمات تنبسط لها النفس وينشرح لها الصّدر، فالعطر ينبع من ذاته ،ثم يفيض على من حوله، فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغُ وأفضلُ من المسك الأذفر (الجيد في الغاية) فإنه إما أن يعلّمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدي لك نصيحة، أو يحذّرك من الإقامة على ما يضرّك فيحثك على طاعة الله، وبر الوالدين، وصلة الرحم، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، بقوله وفعله وحاله، وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح- وهي فائدة لا يستهان بها- أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي، رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير وترفعًا عن الشر وأن يحفظك في حضرتك وغيابك، وأن ينفعك دعاؤه في حال حياتك وبعد مماتك.

قال النووي-رحمه الله- تعليقًا على حديث أبي موسى الأشعري ﷺ السابق :

" في هذا الحديث: فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجره ".

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري :٤/٣٢٤":

" وفي الحديث: النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته في الدين والدنيا ".

١- حامل المسك: بائعه.
٢- نافخ الكير: هو الحدّاد الذي ينفخ على الحديد.
٣- يحذيك: أي يعطيك.

***وقال السعدي** -رحمه الله-:* "مثَّل النبي ﷺ بهذين المثالين مبينًا أن الجليس الصالح مغنم لك وخير في جميع أحوالك كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك، فأنت تجلس معه قرير النفس برائحة المسك، فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك أو يهدى لك نصيحة ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها. فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة يقود بعضها بعضًا إلى الخير أو ضده. اهـ.

ولله در القائل: الناس شتَّى إذا ما أنت ذُقتَهم ... لا يستوون كما لا يستوي الشجرُ

هذا له ثَمرٌ حلوٌ مذاقتُه ... وذاك ليس له طعم ولا ثمر

وقال آخر: تحلو الحياةُ بصحبة الأخيار ... وتطيب رغم تعاقب الأكدارِ

هي بلسمٌ للروح من آلامها ... شَرَكُ القلوبِ ونزهةُ الأبصارِ

والناسُ هذا نافخٌ من طيبِهِ ... أبدًا وهذا نافخٌ في النَّارِ

فاصحب كرامَ النّفسِ تعرف فضلهم ... إيَّاكَ صاحِ وصُحبةِ الأشرارِ

وأرى معاشرةَ الرجال تجاربًا ... والمرءُ بين الشَّوْكِ والأزهار

لا تحكُمنَّ على الفتى إلا إذا ... جربتهُ وصِحبْتَهُ في الأسفارِ

إن الصداقة حُلوةٌ فتانةٌ ... في رقَّةٍ كنسائم الأسْحارِ

وربيعُ أيَّامِ الحياةِ بصُحبة ... الفئةِ التُقاةِ ومعاشر الأبرارِ

تحيا القلوبُ بحبِّهم حقا كما ... تحيا الرياضُ بوابلٍ مدرارِ

والله أسأل أن يُدِيمَ سرورنا ... في صُحبةِ العلماء والأخيارِ

***يقول شعبة** -رحمه الله-:* " خرج عبد الله بن مسعود ﷺ على أصحابه فقال: أنتم جلاء حزني "
(آداب العشرة: ٤٣)

***وقال أبو الدرداء** ﷺ :* **" لولا ثلاث لأحببت أن أكون في باطن الأرض لا على ظهرها: لولا إخوان لي يأتوني ينتقون طيب الكلام كما ينتقي طيب التمر، أو أُعفِّر وجهي ساجدًا لله ﷻ، أو غدوة أو روحة في سبيل الله ﷻ ".** (الزهد للإمام عليّ ﷺ ص ١٣٥)

***وقال محمد بن واسع** -رحمه الله-:* " ما بقي في الدنيا شيء ألذُ به إلا الصلاة جماعة ولقي الإخوان ".
(الزهد للإمام أحمد ص ٣١٣)

وقيل له: أي العمل أفضل في الدنيا، قال:" صحبة الأصحاب، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على التقى والبّر". (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ص ١٢٨)

وقيل لسفيان: ما ماء العيش؟ قال:" لقاء الإخوان ". (روضة العقلاء ص ٩٣)

واعلم أخي الحبيب أن محبتك لأهل الخير يجعلك معهم في الجنة وإن لم تعمل بعملهم:

فقد أخرج البخاري و مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ قال: " جاءَ رجلٌ إلى رَسُول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رَجُلٍ أَحَبَّ قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ:" المرء مع من أحبّ ".

قال ابن بطال –رحمه الله– عن هذا الحديث: " فدل هذا على أن من أحب عبدًا في الله فإن الله جامع بينه وبينه في جنته ومدخله وإن قصر عن عمله وهذا معنى قوله: "ولم يلحق بهم" يعني في العمل والمنزلة وبيان هذا المعنى، والله أعلم . أنه لما كان المحب للصالحين وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله وكانت المحبة عملًا من أعمال القلوب واعتقادًا لها، أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين، إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها والله يؤتي فضله من يشاء ". اهـ.

وقال النووي–رحمه الله–:" وفي الحديث فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين: وأهل الخير الأحياء والأموات ".

وعند البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ! الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ:" المرء مع من أحب ".

وعند البخاري ومسلم أيضًا من حديث أنس بن مالك ﷺ: " أنَّ رجلًا سأل النبيَّ ﷺ: متى الساعة؟ قال:" ما أعددتَ لها؟" قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أُحبُّ اللهَ ورسوله، قال:" أنت مع من أحببت "، قال أنسٌ: فما فَرِحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت " فأنا أُحبُّ النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبّي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم ".

ورواه الترمذي بلفظ: قال:" رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا بشي لم أرهم فرحوا بشيء أشد منه قال رجل: يا رسول الله الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل بمثله فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب ".

وفي رواية للبخاري: " أن رجلًا من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! متى الساعة قائمة؟ قال: ويلك، وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله وسوله، فقال النبي ﷺ: إنك مع من أحببت ". قال أنس ﷺ: ونحن كذلك ؟ قال:" نعم ". قال: ففرحت يومئذ فرحًا شديدًا.

وأخرج أبو داود من حديث أبي ذر ﷺ أنه قال: " يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم ؟ قال: " أنت يا أبا ذر مع من أحببت " قال: فإني أحب الله ورسوله قال:" كذا " فإنك أبو ذر فأعادها مع من أحببت " قال: فأعادها رسول الله ﷺ ". (صحيح الترغيب والترهيب ٣٠٣٥)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: **" ثلاثٌ أحلفُ عليهنَّ: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له؛ وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة، والصوم، والزكاة، ولا يتولى الله عبدًا في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة، ولا يحب رجل قومًا إلا جعله الله معهم والرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا آثم لا يستر الله عبدًا في الدنيا إلا ستره يوم القيامة ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٣٩) (صحيح الجامع ٣٠٢١)

وأخرج الطبراني في الأوسط والصغير من حديث علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثلاثٌ هن حق لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ولا يتولى الله عبدًا فيوليه غيره، ولا يحب رجل قومًا إلا حُشر معهم ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٧٠٣)

وقفة:

قال الحسن البصري -رحمه الله-: " يا ابن آدم لا يغرّنَّك قول من يقول: المرء مع مَن أحب، فإنك لن تلحق بالأبرار إلا بأعمالهم، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم، قال الغزالي -رحمه الله-: وهذه إشارة إلى أن مجرد المحبة من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع ". اهـ.

لكن ذهب النووي -رحمه الله- إلى أن مجرد المحبة تنفع صاحبها:

فقال -رحمه الله- في الحديث: **" المرء مع مَن أحب "** فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيَهُما والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله كان منهم ومثلهم، وقد صرح فى الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال:**" أحب قومًا ولمّا يلحق بهم ".**

قال الراغب الأصبهاني -رحمه الله-: قال بعض العلماء:

" من جالس خيِّرًا أصابته بركته، فجليس أولياء الله لا يشقى وإن كان كلبًا ككلب أصحاب الكهف ".

قال أبو الفضل الجوهري -رحمه الله-: " إن مَن أحبّ أهل الخير نال من بركتهم ".

كلبٌ أحبّ أهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله (ويعني بالكلب: كلب أهل الكهف) المذكور **في قوله تعالى:** ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف:١٨)

قال القرطبي -رحمه الله- تعليقًا على كلام الجوهري: " إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله ﷻ بذلك في كتابه فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين؟! ". (الجامع لأحكام القرآن:١٠/٣٧٢ في تفسير سورة الكهف)

وبالجملة فالجليس الصالح منفعة لك في دينك ودنياك.

فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر-رضى الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: **" المؤمن إن ماشيته نفعك وإن شاورته نفعك وإن شاركته نفعك وكل شيء من أمره منفعة "**

وفي رواية: **" مَثَل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك ".**

وقال ابن السماك عند موته: " اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك، فاجعَلْ ذلك قربة لي إليك ".

وأخيرًا .... من ثمرات مجالسة الصالحين أنها تؤدي إلى محبتهم في الله:

والمحبة في الله منحة ربانية، ولها من الكرامة والفضل، وعلو المنزلة والأجر ما يدفع أبناء الإسلام إلى استشرافها والتحقق بها والحرص عليها، والذوبان فيها، والسير فى رياضها، والتنسم من عبيرها، فالمحبة في الله لها ثمرات عظيمة وآثار جليلة على العبد المؤمن، وقد رتب الله عليها الأجور العظيمة والثواب الجزيل.

وإليكم أحبتي في الله باقة شذيّة عطرة من فضل وثمرات المحبة فى الله، وهذا هو العنصر الثاني:

ثانياً: فضل وثمرات المحبة في اللّه:

عظّم الله- تعالى- المنَّة، بإيقاع المحبة بين أهل الملة؛ **فقال تعالى:** ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٣)

فالمحبة في الله منحة قدسية، ونعمة ربانية يقذفها الله- تعالى- في قلوب المخلصين من عباده والأصفياء من أوليائه والأتقياء من خلقه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم:٩٦)

فلا تكتمل المحبة والصحبة حتى تقول لأخيك:" يا أنا "، وكل قوم تحابوا تواصلوا، وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عَمَّروا عُمِّروا. (انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٣٦٤)

فما أحلى محبة كانت قبل الوجود؟

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" الأرواح جنود مُجَنَّدة[١]، ما تعارف[٢] منها ائتلف[٣]، وما تناكر[٤] منها اختلف[٥] ".**

- ***قال الخطابي-رحمه الله-:***" ومعنى هذا الحديث الإخبار عن مبدأ كونِ الأرواح وتقدُّمِها الأجساد... وأَعلَمَ النبي ﷺ أنها خُلقت على ائتلاف واختلاف، فتأتلف الأجسادُ في الدنيا وتختلف على ما حسب ما وقع في مبدأ الخِلقة ". اهـ.

- ***وقال مجاهد -رحمه الله-:***" مَرَّ على عبد الله بن عباسٍ-رضي الله عنهما- رجلٌ، فقال ابن عباسٍ: " إن هذا يُحبُّني، فقيل: أَنَّى عَلِمْتَ ذلك؟ قال: إني أحبُّه ".

وليس الحبُّ إلا ما نشأ عليه القلبُ ونَما، ورُبِّي في أرض المودة وسما ".

وأساس المحبة والتآلف هو القلب، لذا نجد أن القلوب تألف وتحن لمَن يوافق شاكلتها.

- ***يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في "إغاثة اللهفان: ١/١٣٢":***

" المحبة هي التي تحرك المُحِبَّ في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له، فتحرك مُحِبّ الرحمن، ومُحِبّ القرآن، ومُحِبّ العلم والإيمان، ومُحِبّ المتاع والأثمان، ومُحِبّ الأوثان والصلبان، ومُحِبّ النسوان والمردان، ومُحِبّ الأطفال، ومُحِبّ الإخوان. فتثير من كل قلب حركة إلى محبوبه من هذه الأشياء، فيتحرك عند ذكر محبوبه دون غيره، ولهذا تجد مُحِبّ النسوان والصبيان، ومُحِبّ قرآن الشيطان بالأصوات والألحان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان، ولا عند تلاوة القرآن، حتى إذا ذكر له محبوبه اهتزَّ له وربا، وتحرك باطنه وظاهره شوقًا إليه وطربًا لذكره، فكل هذه المحابّ باطلة مضمحلة سوى محبة الله وما والاها، من محبة رسوله وكتابه، ودينه، وأوليائه، فهذه المحبة تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام مَن تعلَّقت به ". اهـ

والمحبة في الله من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات.

ولله در أبي علي الكاتب المصري حيث قال:" روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتبدو عليهم وإن ستروها ". (البداية والنهاية: ٢٢٨/١١)

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع للدخول في الموضوع وبيان فضل وثمرات المحبة في الله ﷻ

١- جنود مجندة: أي جموع مجتمعة، وأنواع مختلفة، والأرواح: جمع روح: وهو الذي يقوم به الجسد، وتكون به الحياة.
٢- تعارف: توافقت صفاتها، وتناسبت في أخلاقها.
٣- ائتلف: من الألفة، وهي المحبة والمودة.
٤- تناكر: تنافرت في طبائعها.
٥- أختلف: تباعد.

فضل وثمرات المحبة في الله

١ - المحبة في اللّه سبب لمحبّة اللّه للعبد:

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إن رجلًا زار أخا له في قرية أخرى فأرصدَ[١] الله له على مدْرَجَته[٢]ملكًا فلما أتى عليه[٣] قال: أين تريدُ؟ قال: أريدُ أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك منْ نعمة تربُّها[٤]؟ قال: لا. غير أني أحببتهُ في الله ﷻ، قال: فإني رسولُ الله إليك بأن اللهَ قد أحبك كما أحببتهُ فيه ".

وأخرج الإمام مالك في موطئه وابن حبان عن أبي إدريس الخولاني قال: " دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا[٥]، وإذا الناس معه فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد هجرت[٦] فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت له والله إني لأحبك في الله[٧] فقال: آلله فقلت: آلله؟ فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فأخذ بحبوة ردائي، فجذبني إليه، فقال: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠١٨) (صحيح الجامع: ٤٣٣١)

وأخرج الإمام أحمد والحاكم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يأثر عن ربه ﷻ : " حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، والمتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٢٠) (صحيح الجامع: ٤٣٢١)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن شرحبيل بن السمط أنه قال لعمرو بن عبسة: " هل أنت محدثي حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه نسيان ولا كذب؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " قال الله عز وجل: قد حقت[٨] محبتي للذين يتحابون من أجلي، وقد حقت محبتي للذي يتزاورون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٢١)

١- أرصد: أرصده لكذا: أي أعده له، ووكله بحفظه.
٢- فأرصدَ الله له على مدْرَجَته: أقعد على طريقه، والمدْرَجَة: هي الطريق، وسميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها: أي يمضون ويمشون.
٣- فلما أتى عليه: أي مر عليه.
٤- تربُّها: تقوم بها وتسعى في صلاحها.
٥ - براق الثنايا: أي أبيض الثغر حسنه، أو كثير التبسم.
٦ - هجرت: أي بكرت.
٧ - فمن أحب أخيه فليعلمه أنه يحبه كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي " إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه " (صحيح الجامع: ٢٧٩).
٨ - حقت: أي وجبت.

وأعظم الناس محبة عند الله تعالى أشدهما حبًا لصاحبه:

فقد أخرج الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبُّهما إلى الله أشدهما حبًّا لصاحبه "**.(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠١٦)

وعند الطبراني أيضًا في الأوسط ومسند أبي يعلى وابن حبان من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" وما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبًا لصاحبه "**. (الصحيحة: ٤٥٠)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ". (الصحيحة: ١٠٣)

٢ - المحبة في اللّه والبغض في اللّه دليل على كمال الإيمان:

أخرج أبو داود بسند صحيح عن أبي أُمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان "**. (الصحيحة:٣٨٠) (صحيح الجامع:٥٩٦٥)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من أعْطَى لله، ومنع لله، وأحَبَّ لله، وأنكَحَ لله، فقد استكمل إيمانه ". (صحيح الترغيب والترهيب:٣٠٢٨)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم "**.

فالمحبة من الإيمان، وإفشاء السلام سبب لحصول هذه المحبة.

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه على مسلم: ٢/٣٥: وقوله ﷺ: " ولا تؤمنوا حتى تحابوا " معناه: لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب ". اهـ.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "** .

فالمجتمع الإسلامي الأول الذي أنشأه النبي ﷺ قام على دعائم قوية، حققت له القوة والسعادة، ووفرت له الأمن والطمأنينة والرخاء، وأبرز هذه الدعائم التي جعلت هذا المجتمع قويًا متماسكًا، دعامتا: المحبة في الله والإخاء. والحق الذي لا مرية فيه أنه ما توفرت هاتان الدعامتان (المحبة والإخاء) في مجتمع ما، إلا كان مجتمعًا مثاليًا يخطو بخطوات وثابة إلى الرقي والتقدم، أما إذا انعدمت هاتان الدعامتان في مجتمع ما، فإنه يكون مجتمعًا مفككًا ضعيفًا، مصيره الشقاء والفناء، ولهذا أقسم النبي ﷺ برب العزة تبارك وتعالى على أننا لن ندخل الجنة إلا إذا كنا مؤمنين حقًا وأنه لن يتحقق الإيمان إلا إذا تحققت المحبة والأخوة بيننا.

- **فالحب في الله أعلى وأوسط وأوثق عرى الإيمان:**

فقد أخرج الإمام أحمد والبيهقي "في شعب الإيمان وابن أبي شيبة من حديث البراء بن عازب ﷺ قال:

" كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: أي عرى الإسلام أوثق؟" قالوا: الصلاة، قال:" حسنةٌ، وما هي بها؟" قالوا: صيام رمضان، قال: حسن، وما هو به؟"، قالوا: الجهاد: قال:" حسن، وما هو به؟" قال:" أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٣٠) (صحيح الجامع: ٢٠٠٩)

وفي رواية: **" أوسط عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ".**

وعند الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحبُ في الله، والبغض في الله ".

(صحيح الجامع:٢٥٣٩) (الصحيحة:١٧٢٨)

وقال بعضهم: وأحبب لحب الله من كان مؤمنًا ... وأبغض لبغض الله أهل التمرُّدِ

وما الدين إلا الحب، والبغض، والوَلاَ ... كذاك البَرَا من كل عادٍ ومعتدي

وقال هلال الرأي: " أوثق المودّات ما كان في الله ﷻ ". (تهذيب تاريخ دمشق: ١ / ٤٣٩)

فالحب في الله والبغض في الله ثمرة الإيمان الصادق، ولذا كان من علامة الحب في الله ألا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء.

- **ومن أحب في الله وأبغض في الله سيجد طعم هذا الإيمان وحلاوته في قلبه:**

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" ثلاثٌ من كُنَّ فيهِ وَجَدَ حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سواهُما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّهُ إلا للهِ، وأن يَكرَه أن يعودَ في الكُفر بعد إذ أنقَذَه الله منه، كما يكره أن يُقْذَف في النار ".**

وفي رواية: **" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواه ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ".**

وفي رواية: **" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن تحب في الله وتبغض في الله ".**

وفي حديث آخر هو عند الإمام أحمد والبزار والحاكم من حديث أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من سرَّه أن يجد حلاوة الإيمان، فليحبّ المرء لا يحبه إلا لله ". (صحيح الجامع:٦٢٨٨) (الصحيحة:٢٣٠٠)

وفي رواية: **" من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يُحبّه إلا لله ".**

فمن سعى في زرع بساتين المحبة في قلبه لأثمرت فيه من النعيم ما لا يستشعره إلا من ذاقه، فيجد في قلبه من الجمال والروعة ولذة الطاعة ما يعجز اللسان عن بيانه.

٣ـ المحبة في الله سبب لتعرض العبد لكرم الله:

فقد أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب" الإخوان " عن أبي أُمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما أحب عبدٌ عبدًا لله، إلا أكرمه الله ". وفي رواية:" إلا أكرم ربه ". (صحيح الجامع:٥٥١٦) (الصحيحة:١٢٥٦)

وإكرام اللهِ للمرء يشمل إكرامه له بالثبات على الإيمان وتوفيقه للعلم النافع، والعمل الصالح، ومحبة في قلوب الخلق، والخروج من الدنيا على التوحيد، والثبات عند سؤال الملكين في القبر، وأخيرًا دخول الجنة، فهذا كله من إكرام الله – تعالى– للعبد.

٤ـ أن الله تعالى يُظل المتحابين فيه في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

أخرج البخاري و مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" سبعةٌ يظلّهمُ الله في ظلهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه ... فذكر منهم ... ورَجُلَان تَحَابَّا في الله، اجْتَمَعَا عليه، وتفرقا عليه ".

وعند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله يقولُ يومَ القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظِلُّهم في ظِلّي، يَومَ لا ظلَّ إلا ظلِّي ".

قال النووي –رحمه الله–: في قوله: **" أين المتحابون بجلالي "** أي: بعظمتي وطاعتي لا للدنيا

وأخرج ابن حبان من حديث أبي مسلم قال: قلت لمعاذ: والله إني لأحبك لغير دنيا [أرجو] أن أصيبها منك ولا قرابة بيني وبينك قال: فلأي شيء؟ قلت: لله قال: فجذب حبوتي ثم قال: أبشر إن كنت صادقًا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء " قال: ولقيت عبادة بن الصامت فحدثته بحديث معاذ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه ﷻ:" حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي على المتناصحين فيَّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيَّ، هم على منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء والصديقون ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠١٩)

وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ:" حَقَّت محبّتي للمتحابين فِيَّ، وحَقَّت محبّتي للمتباذلين فِيَّ، وحَقَّت محبَّتي للمتزاورين فِيَّ، والمتحابُّون في الله على منابرَ من نورٍ في ظلِّ العرش يوم لا ظلَّ إلا ظلهُ ".

وأخرج ابن أبي الدنيا في " كتاب الإخوان " عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى:" حقت محبتي على المتحابين، أظلهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي ".

(صحيح الجامع: ٤٣٢٠)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير وابن حبان من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن المتحابين بالله في ظل العرش ". (صحيح الجامع: ١٩٣٧)

وأخرج الإمام أحمد من حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ:

" المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٢٥)

٥- كل محبة ستنقطع يوم القيامة إلا المحبة في الله فهي باقية لا تنقطع:

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٦٧)

فكل خِلة ستنقطع وتنقلب إلى عداوة، وكل محبة ستنتهي إلا المحبة في الله.

٦- المتحابون في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء:

وهذا أيضًا من كرم الله.

فقد أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ:

" المُتَحابُّون في جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ من نورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ ". (صحيح الجامع:٤٣١٢)

أخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه وأقره عليه الذهبي عن أبى مالك الأشعري ﷺ أنه قال:

" إن رسول الله ﷺ لما قضى صلاته أقبل علينا بوجهه فقال: يأيها الناس اسْمَعوا، واعقلوا، واعلموا أن لله ﷻ عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يَغبِطُهُمُ[١] النبيُّون والشهداءُ على منازلهم وَقَربهم من الله، فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس وَأَلْوَى بيده إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ناسٌ من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ؟ أنعتهم لنا، جلهم لنا – يعني صفهم لنا – فَسُرَّ وَجْهُ رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ:" هم ناس من أفناء الناس ونوازع[٢] القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا فى الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها، فيجعل وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ".

(صحيح الترغيب والترهيب:٣٠٢٧)

وفى رواية عند أبي داود من حديث عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إن من عباد الله لأناسًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى قالوا: يا رسول الله تخبرنا مَن هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس:٦٢)

١- يغبطهم: الغبطة: بكسر الغين: تمني مثل ما للمغبوط من نعمة دون تمني زوالها عنه، فهي بخلاف الحسد.
٢ ـ النوازع: جمع نازع، وهو الرجل الغريب.

ومر بنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: " حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء ". (صحيح الجامع: ٤٣٢١)

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش وكلتا يدي الله يمين على منابر من نور وجوههم من نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: " هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٢٢)

وأخرج أبو داود والحاكم وابن المبارك في الزهد من حديث عمر ﷺ قال رسول الله ﷺ: " إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله"، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: " قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ولا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢) (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٢٦)

وأخرج النسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن من عباد الله " قومًا " عبادًا ليسوا بأنبياء تغبطهم الأنبياء والشهداء " قيل: من هم لعلنا نحبهم ؟ قال: هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أسباب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢)

وأخرج الطبراني من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء "، قال: فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله جلهم لنا نعرفهم، قال:" هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٠٢٥)

٧- والمتحابون في الله في الدرجات العُلَى من الجنة:

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله ﷻ".

(قال السيوطي في البدور السافرة: إسناده صحيح)

فاللهم اجعلنا في الدنيا متحابين ويوم القيامة على سرر متقابلين

آمين يا أرحم الراحمين

نصائح وتوجيهات تزيد من المحبة والألفة بين المتحابين

١- أن تسلم على أخيك إذا لقيته، وتوسع له في المجالس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه:

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: " ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجالس، وتدعوه بأحب أسمائِهِ إليه ". (آداب العشرة: ١٦)

وكذا قال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: " يصفي لك ود أخيك ثلاث: أن تبدأه بالسلام، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس، وكفى بالمرء عيبًا أن يجد[١] على الناس فيما يأتي، أو يبدو لهم عنه ما يخفى عليه من نفسه وأن يؤذيه في المجلس بما لا يَعْنيه ".

(كتاب الجامع لأبي زيد القيرواني: ١٩٥)

ويقول مجاهد بن جبر-رحمه الله-: إذا تواخى المتحابان في الله ﷻ فمشى أحدهما إلى الآخر فأخذ بيده فضمك إليه تحاتت[٢] خطاياهما كما يتحات ورق الشجر[٣] فقال له أحدهم: إن هذا ليسير، فقال مجاهد: لا تقل ذلك فإن الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ:" لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ". (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ص ١١٠)

٢- أن تتعاهده بالهدية:

فالهدية لها أثر عظيم في حسن العشرة ودوام المحبة، فالنفوس مجبولة على محبة ما يهدى إليها، وعلى محبة من أهدى الهدية.

فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد والبيهقي وأبو يعلى من حديث أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: " تهادوا تحابوا ". (قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن، وحسنه الألباني في الإرواء: ١٦٠١)

فالهدية سنة نبوية، ومظهر حب، ومبعث أنس، تقرب البعيد، وتصل المقطوع، وتفتح مغاليق القلوب، وتبذر المحبة بين الناس، وقد حرص النبي ﷺ على تشريع كل ما من شأنه أن يؤلف القلوب، فالهدية من هديه ﷺ، **وكما قيل:**

هـدايا الناس بعضهم لبعض ... تـولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هَوًى وودًّا ... وتكسوهم إذا حضروا جمالا

١- يجد: أي يعيب.
٢- تحاتت خطاياهما: أي تساقطت.
٣ - وفي هذا حديث رواه البزار والترمذي عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إن المسلم إذا صافح أخاه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر ".
وفي رواية عند أبي داود والترمذي " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا ".

٣- أن تقضي له حاجته وتعينه عليها:

ما أجمل قضاء حوائج المسلمين وبذل المعروف لهم، فهذا من أجل القربات وأعظم وأنبل الطاعات، ويا لحسن صنع الخير للمؤمنين، وتفريج هم المكروبين ومد يد العون للفقراء واليتامى والمساكين، وتفقد أحوال المحتاجين والمعوزين.

اقض الحوائج ما استطعت ... وكــن لهمِّ أخيك فـارِجْ
فــلخير أيـــــام الفتــى ... يوم قضى فيه الحوائجْ

فقد أخرج الطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا في " قضاء الحوائج " من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل ".** (صحيح الجامع: ١٧٦) (الصحيحة: ٩٠٦)

أرسل الحسن البصري جماعة من أصحابه في قضاء حاجة لأخ لهم، وقال: " مروا بثابت البناني فخذوه معكم، فمروا بثابت، فقال: "أنا معتكف"، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال لهم: قولوا له: يا أعمش، أما علمت أن سعيك في حاجة أخيك خير لك من حجة بعد حجة؟! فرجعوا إلى ثابت فأخبروه، فترك اعتكافه وخرج معهم " . (جامع العلوم والحكم ص ٣٢١)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:
" المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُهُ ولا يُسلمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجتهِ، ومن فرَّج عن مسلم كُربةً، فرج اللهُ عنه كُربةً من كُربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره اللهُ يوم القيامة ".

وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" خير الناس أنفعهم للناس ". (صحيح الجامع: ٣٢٨٩) (الصحيحة: ٤٢٦)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" خير الأصحاب عند الله ﷻ خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره ".**
(صحيح الجامع: ٣٢٧٠) (الصحيحة: ١٠٣)

وقال عبد الله بن عثمان الأزدي- شيخ البخاري-: " ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بمالي، فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تم وإلا استعنا له بالسلطان ".
(الآداب الشرعية لابن مفلح ١٨٩/٢)

وقضى عبدُ الله بنُ شُبْرُمة حاجةً لبعض إخوانه كبيرةً، فجاءه بهدية، فقال: ما هذا؟ قال: لما أسدَيتَه إليّ، فقال: خذ مالك، عافاك الله . إذا سألت أخاك حاجة، فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ للصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات، وعده في الموتى ". (وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/٢٩٠)

ولا خير فيمن يحجب خيره عن غيره، ويزوي معروفه عمن يستحقه، ولا يعطي كل ذي حق حقه، ولا يبخل بماله أو وقته في قضاء حوائج المسلمين ومن يكون هذا حاله، فوجوده كعدمه وحضوره كغيابه، وموته كحياته، فلا هو في العِير ولا في النفير، ولا يوزن في موازين الناس بقنطار ولا بقطمير، لا وزن له ولا حجم، ولا خير لا جُرم، فهو من سقط المتاع، ومن الهمل الرعاع، فلا هو يدفع أو يمنع، وعود خلال منه أنفع

إذا كنت لا تُرجى لــدفع مُلِمَّةٍ ... ولم يَكُ للمعروف عندك موضعُ
ولا أنت ذو حياةٍ يعايش بجاهه ... ولا أنت يــوم البعث للنَّاس تَشْفَعُ
فعيشُك في الدنيا وموتُكَ واحدٌ ... وعُــودُ خلالٍ مــن حياتك أنفــع

ومن عزَّ نوالُه وقلَّ عطاؤُه، فنعمته إلى زوالٍ، وما عنده خير فهو إلى اضمحلال؛ لأنها غيرُ محفوظة بالبذل، وغيرُ مصانةٍ بالإسداء أو محروسة بالإهداء " . (بذل المعروف لعبد اللطيف بن هاجس الغامدي ص ١١،١٢)

قال بعض الصالحين: " وددتُ أن جميع إخواني أتوني فشاركوني في معيشتي حتى يكون عيشنا واحدًا، ولوددتُ أن جميع إخواني أتوني في حوائجهم، وإني لأستحي من الله ﷻ أن ألقى الأخ من إخواني فأدعو له بالجنة وأبخل عليه بالدنيا، والدنيا أصغر وأحقر من أن يقال لي يوم القيامة: كنت كذّابًا ".
(كتاب الاخوان لابن أبي الدنيا ص ٢٢٣)

وقال محمد بن المنكدر-رحمه الله-: " لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان ".

فالأصل في المسلم أن يُعين إخوانَه على نوائب الدهر ومتاعب العمر، ومصائب الحياة بسد خلَّتهم والشدِّ من أزرهم وقضاء حوائجهم والقيام على مصالحهم وإعانة محتاجهم، ومساعدة ضعيفهم، ورعاية شؤونهم ومناصرة مظلومهم، والأخذ على يد ظالمهم، لتستقيم حياتهم ويصلح بهم ولهم معاشهم، فكأنهم جسدٌ واحدٌ مختلطُ المشاعر، متحد الشعائر، متمازج الأحاسيس، متوافق العواطف " (المصدر السابق ص١٠)

وأخرج البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **" ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى عضو منه، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".**

وعند مسلم بلفظ: **" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ".**

فالنبي ﷺ يصور المجتمع المسلم بجسد عملاق يمتد بطول الأمة الإسلامية وعرضها في مشارق الأرض ومغاربها، ومع تباعد أطرافها إلا أن المسلمين فيها يحمل كل واحد منهم هم المسلمين الآخرين ويشعر بآلامهم ويحس بأحاسيسهم وربما أخرج أحدهم اللقمة من فمه ليضعها في فم أخيه وخلع الثوب عن جسده ليستر به عورة أخيه وإذا صاح واحد منهم في أدنى المشرق مستغيثًا أو مستعينًا تردد صدى صوته في أقصى المغرب فيتجاوب معه كل فرد مسلم تمامًا.. كما أن الجسد الواحد يتألم بآلام أي عضو وإن بعد موقعه على خريطة هذا الجسد.. حتى ولو كان أنملة في أصبع يد أو رجل.

أما اليوم فقد أصيب ويا للأسف.. جسد الأمة الإسلامية بشلل قاتل ... حجب الإحساس والشعور عن بقية أعضائه.. فالمسلمون يقتلون هنا وهناك ولا يشعر بآلامهم إخوانهم.. ولا يتجاوبون مع صدى صرخاتهم واستغاثتهم.. لماذا...؟ لانعدام هاتين الدعامتين: المحبة والإخاء.

إن سبيلنا إلى إعادة مجدنا الغابر، ووحدتنا التي ولت وأدبرت ... وانفرط عقدها.. فتبعثرت حباته يمينًا وشمالًا.. هو: إحياء هاتين الدعامتين.. المحبة والإخاء بيننا.. والعمل بمقتضاهما.. فضلًا عن إحياء تعاليم ديننا السمح الحنيف في نفوسنا.. وفي معاملاتنا.. وفي علاقتنا بعضنا ببعض. اهـ.

(جوانب من عظمة الإسلام المفترى عليه للشيخ محمد عبد الفتاح عفيفي -رحمه الله-)

وأخرج الإمام مسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه، اشتكى كله ".**

وفي رواية: **" المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ".**

وعن سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله ﷺ: **" إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس ".**

(قال ابن كثير في تفسيره: ٣٥٥/٧: تفرد به أحمد، ولا بأس بإسناده)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان، يشدُ بعضهُ بعضًا، وشبَّك بين أصابعه ".**

٤- أن توافقه ولا تخالفه فيما هو مشروع غير ممنوع:

قال عبادة بن كليب -رحمه الله-: اجتمعت أنا ومحمد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وصنعت لهم طعامًا، فلم يخالف علينا محمد بن النضر الحارثي في شيء، فقال له عبد الله بن المبارك: ما أقل خلافك؟ قال محمد:

فَإذا صَاحَبْتَ فاصْحَبْ صاحبًا ذا حَيَاءٍ وعفافٍ وكرمِ

قولُـــه للشيءِ لا إن قُـــلتَ لا وإذا قُلتَ نَعْم قال نَعَمْ

وقال جويرة بن إسماعيل: " دعوت الله أربعين سنة أن يعصمني من مخالفة الإخوان ".

٥- أن تنصره إذا كان مظلومًا، وتكفه عن الظلم إذا كان ظالمًا:

فقد أخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" انصُرْ أَخَاكَ ظالمًا أو مظلومًا، فقال رجلٌ يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا، كيف أنصره؟ قال: تحجزُهُ أو تمنعه من الظَّلم فإن ذلك نصرُه ".

وفي رواية أخرى:" انصر أخاك ظالمًا او مظلومًا "، قالوا: يا رسول الله: هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تأخذ فوق يديه[1] ".

وفي رواية:" ولينصُرِ الرجُلُ أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إذا كان ظالمًا فلينْهَهُ فإنَّهُ له نصرٌ، وإن كان مظلومًا فلينصره ".

٦- أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله:

فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وآكدُ من ذلك أن تُبلِّغَه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح، فإن إخفاءَ ذلك مَحضُ الحسد.

٧- أن تحمل أفعاله كلها على محمل طيب ونية صالحة:

يقول علي ﷺ:" من لم يَحْمَدْ أخاه على حسن النية، لم يحمده على حسن الصنيعة ". (آداب العشرة: ١١)

٨- أن تعد له طعامًا وتدعوه إليه:

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد اللَّهِ بنِ سَلاَمٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال:" أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ ".

وكان علي ﷺ يقول:" لأن أجمع نفرًا من أصحابي على صاعٍ أو صاعين من طعام أحب إلي من أن أخرج إلى سوقكم فأعتق نسمة " .

وكان أبو سليمان الداراني-رحمه الله- يقول:" إني لألقم اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي".
(الأحياء: ٢/١٩٠)

وقال أيضًا-رحمه الله-:" لو أن الدنيا كلها لي في لقمة، ثم جاءني أخ لأحببتُ أن أضعه في فيه ".
(كتاب الاخوان لابن أبي الدنيا ص ٢٣٥)

وكان أبو جعفر محمد بن علي-رحمه الله- يدعو نفرًا من إخوانه كل جمعة فيطعمهم الطعام الطيب ويطيبهم ويبخرهم ويروحون إلى المسجد من منزله " (المصدر السابق ص ٢٣٠)

وكان ابن المبارك -رحمه الله- يطعم أصحابه في الأسفار أطايب الطعام وهو صائم ".
(لطائف المعارف ص ٢٦٠)

---

١ - تأخذ فوق يديه: أي تمنعه من الظلم

٩- أن تزوره في الله:

والزيارة في الله لها من الفضائل الكثيرة، والأجور العظيمة، منها:

أ- ما رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من عاد مريضًا[١]، أو زار أخًا له في الله، ناداه مناد: أن طبت[٢] وطاب ممشاك[٣] وتبوأت[٤] من الجنة منزلًا ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٥٧٨) (صحيح الجامع: ٦٣٨٧)

ب- وأخرج البزار وأبو يعلى من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما من عبد أتى أخاه يزوره في الله، إلا ناداه ملك من السماء أن طبت وطابت لك الجنة، وإلا قال الله في ملكوت عرشه: عبدي زار في، وعليّ قراه، فلم يرض له بثواب دون الجنة " .**

جـ- وأخرج الطبراني في الكبير والأوسط والدارقطني من حديث كعب بن عجرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ألا أخبركم برجالكم في الجنة ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: " النبي في الجنة والشهداء في الجنة والصديق في الجنة والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة ".** (الصحيحة: ٢٨٧) (صحيح الجامع: ٢٦٠٤)

د- وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" زار رجل أخًا له في قرية، فأرصد الله ملكًا على مدرجته، فقال: أين تريد؟ قال: أخًا لي في هذه القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تربها؟ قال: لا، إلا أني أحبه في الله، قال: فإني رسول الله إليك أن الله أحبك كما أحببته ".

هـ- ومر بنا أيضًا الحديث الذي رواه الإمام أحمد والحاكم من حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن ربه -تبارك وتعالى- قال: **" حقت محبتي على المتزاورين فِيَّ.. ".** الحديث

سئل أبو حمزة الشيباني عن الإخوان في الله: من هم؟ قال: هم العاملون بطاعة الله، المتفانون على أمر الله، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم.

قال الراوي: فحدثت به أبا سليمان فقال: قد يعملون بطاعة الله عز وجل . والمتعاونون على أمره، ولا يكونون إخوانًا حتى يتزاوروا، ويتباذلوا.

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: **" كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادة وإن كان مشغولا كانت عونًا وإن كان غير ذلك كانت زيارة ".** (آداب العشرة:٤٣)

يقول الحسن -رحمه الله-: " كان عمر ﷺ يذكر الرجل من إخوانه في بعض الليل، فيقول: " يا طولها من ليلة "، فإذا صلى المكتوبة غدا إليه، فإذا التقيا عانقه ". (رواه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان)

١- من عاد مريضًا: أي زاره أثناء مرضه.
٢- طبت: أي فعلت طيبًا حسنًا.
٣- وطاب ممشاك: أي طاب سعيك وكان صالحًا.
٤- تبوأت: أي سكنت ونزلت، وهو دعاء له بطيب العيش في الآخرة.

تنبيه:

علمنا أن الزيارة في الله تزيد من المحبة، وفيها من الأجور العظيمة والفضائل الكثيرة، لكن لا يفهم من هذا كثرة الزيارة وتضييع الأوقات فالمسلم شحيح بوقته فهو رأس ماله، وقلة الزيارة تزيد من المحبة والشوق للزائر.

فقد أخرج البزار والطبراني في الأوسط والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" زُر غِبًّا تزدد حُبًّا ". (صحيح الجامع: ٣٥٦٨)

١٠- أن تحفظ سره:

قال بعض الحكماء: " صدور الأحرار قبور الأسرار".

قال ابن المعتز-رحمه الله-

ومستودعي سرًا تبوَّأت كَتْمَه فأودعتُه صدري فصار له قَبرًا

قال أبو سعيد الثوري: " إذا أردت أن تؤاخيَ رجلًا فأغضبه، ثم دُسَّ عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيرًا وكتم سرَّك فاصحبه ".

فالأخ يسكت عن أسرار أخيه التي بثها إليه، ولا يكشف شيئًا منها ولو بعد القطيعة والوحشة، قال أبو علي الحكيم: أفشى رجل إلى صديق له سرًا من أسراره، فلما فرغ قال: حفظته؟ قال: لا بل نسيته.

ليس الكريم الذي إن زلَّ صاحبُهُ بَثَّ الـذي كـان مـن أسْراره عَلِمَا

إن الكـريم الـذي تبقى مـودَّتهُ ويحفظ السرَّ إن صافىَ وإن صَرَما

وقال الشافعي -رحمه الله- في" ديوانه:٣٦":

إذا المـــرءُ لا يـرعاك إلا تكلُّفًا فـدعه ولا تكـثر عليـه التأسُّفـا

ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جفـا

فما كـل مـن تهـواه يهواك قلبُه ولا كـل مـن صافيتُه لك قد صفـا

إذا لـم يكن صفو الـوداد طبيعةً فلا خـير فـي ود يـجيء تكلفـا

ولا خير في خِلٍّ يخـون خليله ويلقـاه مـن بـعد المـودة بالجفـا

ويُنكـر عيشًا قـد تقـادم عهدُه ويظـهر سرًّا كـان بالأمس قد خفا

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صديقٌ صدوقٌ صادق الوعد مُنصفًا

١١- أن تستر مساوئه، ولا تنشر عيوبه:

فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين، ويكفيك تنبيهًا على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل: أن الله تعالى وُصِفَ به في الدعاء، فيقال: " يا من أظهر الجميل وستر القبيح "، والمرضِيُّ عند الله من تخلق بأخلاقه، فإنه ستار العيوب، وغفار الذنوب، ومتجاوز عن العبيد، فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك؟! فكلنا أصحاب ذنوب وكما قيل: من ذا الذي ما ساء قط..... ومن لـــه الحسنى فـــقط؟ والجواب: لا أحد؛ إلا الأنبياء والمرسلين فقد عصمهم الله.

فمن طلب مُنَزَّهًا عن كل عيب، اعتزل عن الخلق كافة، ولن يجد من يصاحبه أصلًا.

فالأخ الكريم يتذكر في نفسه محاسن أخيه لينبعث في قلبه التوقير والود والاحترام، وأما المنافق اللئيم فإنه أبدًا يتتبع العثرات ويظهر السوءات.

قال ابن المبارك –رحمه الله–: " المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات ".

وقال الفضيل–رحمه الله–: " الفتوة: العفو عن زلات الإخوان ".

ولله در القائل:

وترى الكريمَ إذا تصرَّم وصلُه ... يُخفي القبيحَ ويُظهِرُ الإحسانا

وترى اللئيم إذا تقضَّى وصلُه ... يُخفي الجميلَ ويُظهرُ البُهتانا

١٢- ألا تبخل عليه بالمال إذا كان في حاجة إليه:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى:

" .....، وحُقَّتْ مَحَبَّتي للمتباذلِين فِيَّ..". ***الحديث*** (صحيح الجامع: ٤٣٢١)

وانظر إلى إيثار سعد بن الربيع ﷺ:

ففي صحيح البخاري من حديث إبراهيم[1] بن سعد عن أبيه عن جده قال: **" لما قدموا المدينة " أي المهاجرون " آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبد الرحمن ابن عوف: إني أكثر الأنصار مالًا، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع..".** الحديث.

وقال يزيد بن عبد الملك بن مروان: إني لأستحي من الله ﷻ أن أسأل الجنة لأخ من إخواني وأبخل عليه بدينار أو درهم " . (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ص ٢٢٣)

– وروي أن مسروقًا أدان دينًا ثقيلًا، وكان على أخيه خيثمة دين فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم " (الإحياء: ١٨٩/٢)

١- إبراهيم هو ابن سعد بن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنهم-.

- ***وقال مُطرِّف-رحمه الله-***: أتيت عثمان بن أبي العاص فقال لي: يا مطرف ويداك ملأى؟ فلما وليت أتبعني رسولًا معه صرة فيها أربعمائة، فلما تيسرت أتيته بها، فقال: لم أعطكها لآخذها منك ".

- ***وكان الحسن البصري -رحمه الله- يقول:*** " كنا نعد البخيل الذي يقرض أخاه ".

- ***ويقول الأعمش -رحمه الله-:*** " أن خيثمة بن عبد الرحمن ورث مائتي ألف، فأنفقها على إخوانه ".

(كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا)

ولقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير- بعد ما قتل الزبير- فقال: كم ترك أخي عليه من الدين؟ قال: ألفي ألف، قال: عليّ منها ألف ألف ".

ويقول الحسن بن كثير-رحمه الله-: " شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء إخواني فقال: بئس الأخ أخ يرعاك غنيًا ويقطعك فقيرًا، ثم أمر غلامه فأخرج كيسًا فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه، فإذا نفدت فأعلمني ". (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ص ٢١٥)

وقال مَطَر الورَّاق: " أتيت محمد بن واسع يومًا، فلما رآني قال برأسه بين رجليه، فخمر وجهه كراهة أن أنظر إليه، فلم يرفع رأسه، فقمت فذهبت، فلما كان بعد أيام أتاني بكيس فيه سبعمائة درهم، فدفعها إليّ وأنا في حانوتي في " قنطرة حرة "، فقلت: تبعث إلي في حوائجك؟ قال: وأي حاجة لي، أتيتني فظننت بك الحاجة، فما استطعت أن أنظر إليك، قال مطر: فقلت له: أنا بخير، فقال: أنت كيف شئت، الدراهم لا ترجع إليّ ". (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ص ٢١٦)

- وجاء رجل من السلف الصالح إلى بيت صديق له، فخرج إليه فقال:" ما جاء بك؟ قال: عليّ أربعمائة درهم، فدخل الدار فوزنها، ثم خرج فأعطاه، ثم عاد إلى الدار باكيًا، فقالت زوجته: هلا تعللت عليه إذا كان إعطاؤه يشق عليك؟ فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله فاحتاج أن يقول ذلك ".

(التبصرة لابن الجوزي: ٢/٢٠٠)

١٣- أن تلقاه وأنت منبسط الوجه:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وأن تصب من دلوك في إناء جارك ".**(صحيح الجامع: ٤٥٥٧)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق".**

وسئل عبد الله بن المبارك عن حسن الخلق، فقال: " بسط الوجه، وبذل المعروف وكف الأذى ".

بتسمك في وجه أخيك صدقة:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" تبسمك في وجه أخيك صدقة ..".**

(صحيح الجامع:٢٩٠٨) (الصحيحة:٥٧٢)

١٤- السكوت عن مماراته وجداله:

قال بعض السلف: " أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم" (الإحياء: ٢ / ١٨٠)

فالمماراة والمنافسة سبيل للتدابر والتقاطع، فإن التقاطع يقع أولًا بالآراء، ثم بالأقوال، ثم بالأبدان.

وقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحرمه، ولا يخذله[1]، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ".**

وأشدُّ الاحتقار المماراة.

وقال بعض السلف: " من لاحى الإخوان وماراهم قَلَّت مروءته، وذهبت كرامته ".

وعلى الجملة، فلا باعثَ على المماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله، وهذا يشتمل على ا لتكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحق والجهل، ولا معنى للمعاداة إلا هذا، فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة؟ (الإحياء: ١٩٥/٢)

وأخرج أبو داود من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه ".**

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ".** (صحيح الجامع: ٥٦٣٣) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٧)

- وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلًا، وقالوا:" إذا قلت لأخيك: " قم " فقال: " إلى أين " فلا تصحبه "، بل قالوا: " ينبغي أن يقوم ولا يسأل ".

- ***وقال أبو سليمان الداراني-رحمه الله-*** : " كان لي أخ بالعراق، فكنت أجيئه في النوائب فأقول: أعطني من مالك شيئًا، فكان يلقي إليّ كيسه فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم فقلت: أحتاج إلى شيء، فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي ".

- ***وقال آخر:*** " إذا طلبت من أخيك مالًا، فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الإخاء ".

---

١ - لا يخذله: قال العلماء:" الخذل: ترك الإعانة والنصر، ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعي ". (شرح مسلم للنووي: ١٢٠/١٦)

١٥- أن تذب عنه في غيبته ما يسوؤه إذا بلغه:

فأفٍ بأخ يراك والكلابُ تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفاع عنك! وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة، فقال سبحانه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الحجرات: ١٢). اهـ. (إحياء علوم الدين)

فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه.

وقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا . وأشار إلى القلب . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ".**

فمن الخذلان عدم نصرة الأخ في وقت يُنال منه، وقد جعل النبي ﷺ الفضل الكبير، والأجر العظيم لمن رد عن عرض أخيه:

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **" من ذب عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقًا على الله أن يعتقه من النار ".**

(صحيح الجامع: ٦٢٤٠)

وأخرج البيهقي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من رد عن عرض أخيه، كان له حجابًا من النار ".** (صحيح الجامع: ٦٢٦٣)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة ".** (صحيح الجامع: ٦٢٦٢)

وأخرج البيهقي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من نصَر أخاهُ بظهرِ الغيبِ، نصرهُ اللهُ في الدنيا والآخرة ".** (صحيح الجامع: ٦٥٧٤) (الصحيحة: ١٢١٧)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما من امرئٍ يخذلُ امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حُرمته، إلا خذلهُ الله تعالى في موطنٍ يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرتَهُ ".** (صحيح الجامع: ٥٦٩٠)

١٦- أن تحب له الخير كما تحبه لنفسك:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "** ***زاد النسائي في روايته:*** **" ما يحب لنفسه من الخير".**

وأخرج البخاري في التاريخ وأبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث يزيد بن أسيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسك ".** (صحيح الجامع:١٨٠) (الصحيحة:٧٢)

وأخرج ابن حبان من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١٧٨٠)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" اتق المحارم تكنْ أعبدَ الناس، وارضَ بما قسمَ الله لكَ تكنْ أغنى الناس، وأحسنْ إلى جارِكَ تكنْ مؤمنًا، وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسكَ تكنْ مسلمًا، ولا تكثرِ الضحكَ، فإن كثرةَ الضحكِ تميتُ القلبَ " .**

(صحيح الجامع: ١٠٠) (الصحيحة: ٩٣٠)

وقال سري السقطي -رحمه الله-: "منذ ثلاثين سنة وأنا في الاستغفار من قولي مرة: الحمد لله، قيل له: هو كيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني واحد، وقال: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيرًا من الناس ". (وفيات الأعيان لابن خلكان: ٣٥٧/٢)

١٧- أن تدخل السرور على قلبه:

فقد أخرج الطبراني في الصغير من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من لقي أخاه بما يحب ليسره بذلك، سره الله يوم القيامة ".** (قال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده حسن)

- **وإدخال السرور على أخيك المسلم من أحب الأعمال إلى الله ﷻ:**

فقد أخرج الطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم ".**

١٨- أن تكون وفيًا مخلصًا له:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، وكان بعض السلف يتفقد أولاد أخيه في الله بعد موته أربعين سنة، ويقوم على حاجتهم، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا جسده. ومن الوفاء كذلك للأخ: حبه وحب ما يحب، وعدم خيانته أو حسده، وعدم التعالي والتفاخر عليه، وأن تتمنى له من قلبك الخير والسعادة كما تتمناها لنفسك.

١٩- أن يُعْلِمه بعيبه، وينصحه سرًا:

فقد أخرج أبو داود والبخاري في الأدب المفرد والضياء في" المختارة " من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ، يكفُّ عليهِ ضيعته[١]، ويحوطُه[٢] من ورائه** ". (صحيح الجامع: ٦٦٥٦)

قال الجيلاني في " شرح الأدب المفرد " ١/٣٣٣، ٣٣٤ : وقوله: " المؤمن مرآة أخيه "، كما أن المرآة تُرِى الناظر ما فيه من العيوب ولو كان أدنى شيء، كذلك أخوه المؤمن يخبر بعيوب أخيه شفقة عليه، لئلا يبقى عليه إلى آخر وقته شيء منها، فالمؤمن يطلع على عيوبه بإعلام أخيه المؤمن، وكذا واجب عليه إماطة الأذى والعيب عن أخيه ويحتمل حمله، على أن ذكر عيب أخيه له ينبهه على عيوب نفسه أيضًا، فيسعى في إزالتها "، وقوله: يكف عليه ضيعته: أي يمنع ضياعه وهلاكه، فيجمع عليه معيشته ويضمها إليه، وقوله: ويحوطه من ورائه: أي يذب عنه ويوفر عليه مصالحه". اهـ.

فالمؤمن إن وجد من أخيه شيئًا فعليه أن يرشده وينصحه في كل ما يعود عليه بالنفع في الدين والدنيا

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إن الدين النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم** ".

وأخرج أبو الشيخ في " التوبيخ " من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" **إنما الدِّين النُّصحُ** ". (صحيح الجامع: ٢٣٢٤)

وأخرج البخاري في التاريخ من حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **الدِّينُ النَّصيحةُ** ".

(صحيح الجامع: ٣٤١٧)

وأخرج أصحاب السنن من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **المستشار مؤتمن** ".

وينبغي أن تكون النصيحة في سر لا يطلع عليه أحد، فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة.

يقول الشافعي –رحمه الله–: " من وعظ أخاه سِرًا نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ".

١- ضيعته: أي يحافظ عليه من الضياع.

٢ - يحوطه: أي يراعي حقوقه في غيابه.

٢٠- أن تعفو عن زلاته وهفواته:

وزلات وهفوات الأخ إما أن تكون في دينه- أي بارتكاب المعصية- أو في حق من حقوقك، فإذا كانت في الدين، فعليك بالتلطف في نصحه حتى يعود إلى الصلاح وتتصلح أحواله.

يقول أبو الدرداء ﷺ: *" إذا تغير أخوك وحاد عما كان عليه، فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوَّجُ مرة ويستقيم أخرى ".*

وقال إبراهيم النخعي-رحمه الله-:"لا تقطع أخاك، ولا تهجره عند الذنب، فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدًا".

- وحُكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه:" ألا تقطعه وتهجره ؟، فقال: أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود إلى ما كان عليه ".

- ***وقد قيل لأبي الدرداء ﷺ:*** *" ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا وكذا ؟، فقال:" إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي ".*

أما إذا كانت هفواته وتقصيره في حقك:

فالواجب فيه الاحتمال والعفو الصفح والتعامي عنه، وقبول عذره إذا اعتذر لأنه لا مبرأ من سهوٍ وزلل، ولا سليم من نقص أو خلل، وقد قال بعض الحكماء: " لا صديق لمن أراد صديقًا لا عيب فيه ".

فعليك أخي الحبيب أن تعفو عن زلات أخيك، وتتغاضى عن هفواته، وإن ارتكب معصية سرًا أو علانية فلا تقطع مودته، ولا تهمل أخوته، بل تنتظر توبته وأوبته، فإن أصر فلك قطعه أو الإبقاء على أخوته مع إسداء نصيحته. **كما قال بعض الحكماء:**" لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ".

٢١- أن تقبل عذره إذا اعتذر إليك:

قال بعضهم:

اقبل مَعاذير من يَأتيك مُعتذرًا ... إنْ بَرَّ عندك فيما قال أو فَجَرا

فقد أطاعَك من أرْضَاكَ ظاهره ... وقد أجَلَّكَ من يَعْصيكَ مُسْتِتَرا

وقال أبو الحسن بن أبي العباس البيهقي:

قيل لي قد أساء إليك فلانٌ ... ومُقام الفتى على الذُّل عَارُ

قلت قد جاءنا فأحْدث عُذرًا ... ودِيّـةُ الـذنب الاعتـــذار

٢٢- أن تحسن الظن بأخيك:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث..... ". الحديث

فكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئ أخيك، فكذاك يجب عليك السكوت بقلبك، وذلك بترك إساءة الظن، فسوء الظن غيبة بالقلب، وحسن الظن هو: ألا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكنك أن تحمله على سهو ونسيان إن أمكن.

قال عمر بن الخطاب ﷺ:" ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيرًا، وأنت تجد لها من الخير محملًا " .

وقال الربيع بن سليمان-رحمه الله-:" دخلت على الشافعي وهو مريض، فقلت له: قوّى اللهُ ضعفك، فقال: لو قوّى ضعفي قتلني، فقلت: والله ما أردت إلا الخير، قال: أعلم أنك لو شتمتني لم تُرد إلا الخير". (مناقب الشافعي للرازي ص ٢٧٤)

وقال سعيد بن المسيب -رحمه الله-:" كتب إلى بعض إخواني من الصحابة أن ضع أمر أخيك على الأحسن ما لم تُغْلب ". (آداب العشرة)

سأل إسحاق بن إبراهيم بن راهوية الإمام أحمد بن حنبل عن الحديث الذي جاء فيه:" إذا بلغك شيء عن أخيك فاحمله على أحسنه حتى لا تجد له محلًا " ما يعني به؟ فقال الإمام أحمد:" أي تعذره، تقول: لعله كذا، لعله كذا ".

٢٣- ألا تكلّفه ما يشق عليه أو تتكلف له:

إذ كلاهما مخل بالأخوة مؤثر فيها منقص من أجرها المقصود منها. فعليك أن تطوي مع أخيك بساط التكلف، إذ بالتكلف تحصل الوحشة المنافية للألفة.

وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال:" نهينا عن التكلف " .

ويقول عليٌّ ﷺ:" شر الأصدقاء من تكلَّف لك، ومن أحْوجك إلى مداراة، وألجأك إلى اعتذار".

وقال جعفر الصادق- رحمه الله-:" أثقل إخواني عليّ من يتكلَّف لي، وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي ".

وقال بعض الصالحين:" من سقطت كلفته، دامت ألفته، ومن خفت مؤونته دامت مودته ".

وآية سقوط الكلفة الموجبة للأنس، والمذهبة للوحشة، أن يفعل الأخ في بيت أخيه أربع خصال: أن يأكل في بيته، ويدخل الخلاء عنده، ويصلي وينام معه، فإذا فعل هذا فقد تم الإخاء، وارتفعت الحشمة الموجبة للوحشة، ووجد الأنس وتأكد الانبساط.

ومر بنا أن رجلًا قال لداود الطائي: أوصني؟ قال:" اصحب أهل التقوى، فإنهم أيسر أهلُ الدنيا عليك مؤونةً، وأكثرهم لك معونة ". (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ص ١٢٤)

٢٤- أن تحرص أنت ومن تحبه على طاعة الله، والحذر من معصيته:

فالطاعة هي التي تجمع بين المؤمنين.. والمعصية هي التي تفرق بينهم، كما قال النبي ﷺ:" ما تواد اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما ". (رواه الإمام أحمد وصححه الألباني في الصحيحة: ٦٣٧)

وقال ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **" ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وافترقا عليه ".** (رواه مسلم)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره:٣/١٤٤": " يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين، الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده محبة ومودة، وهذا أمر لابد منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ .. ثم أورد حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" **إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل-عليه السلام-، ثم ينادى في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**" .اهـ.

قال سعيد بن جبير-رحمه الله- قال ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: **﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** ": أي يحبهم ويحببهم، يعني: إلى خلقه المؤمنين.

وقال قتادة-رحمه الله-: " أي سيجعل الله لهم ودًا في قلوب أهل الإيمان ".

كتب أبو الدرداء ﷺ إلى مسلمة بن مخلد: **" سلام عليك أما بعد؛ فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى عباده، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه بغضه إلى عباده ".**

٢٥- إخبار من تحبه بأنك تحبه في الله:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وأبو داود عن ابي كريمة المقداد بن مَعْدِ يكرِب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا أحب أحدكم أخاه فليُخبره أنَّهُ يُحبُه[1] ".** (صحيح الجامع: ٢٧٩) (الصحيحة: ٤١٧)

وأخرج أبو داود والبيهقي عن أنس ﷺ **أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فمر رجل به فقال: يا رسول الله: إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ: أأعلمته ؟ قال: لا، قال: أعلمه، فلحقه، فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتني له ".** (حسنه الألباني في المشكاة: ٥٠١٧)

بل ويسن أن يأتيه في منزله ليخبره بذلك:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله، فليخبره أنه يحبه لله ".** (الصحيحة: ٤١٨) (صحيح الجامع: ٢٨١)

وأخرج ابن أبي الدنيا عن رسول الله ﷺ قال: **" إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمهُ، فإنه أبقى في الألفة، وأثبت في المودة ".** (الصحيحة: ١١٩٩) (صحيح الجامع: ٢٨٠)

معناه: الحث على التودد والتآلف، وذلك أنه إذا أخبره بانه يحبه استمال بذلك قلبه، واجتلب به وده ". اهـ (معالم السنن للخطابي: ١٣٨/٤)

وقد مر بنا أن أبا إدريس الخولاني قال لمعاذ بن جبل ﷺ: **" والله إني لأحبك في الله ".**

آداب الجوارح مع الإخوان

قال أبو عبد الرحمن السلمي –رحمه الله–: على كل جارحة من الجوارح آداب تختص بها مع الإخوان

فآداب العين: أن ينظر إلى إخوانه نظر مودة ومحبة يعرفها منك هو ومن حضر المجلس، ويكون نظره إلى محاسنه، وإلى أحسن شيء يصدر منه، وألا يصرف عنه بصره في وقت إقباله عليه، وكلامه معه.

وآداب السمع: أن يستمع إلى حديثه سماع مشتهٍ لما سمعه، متلذذ به، وإذا كلمك لا تصرف بصرك عنه، ولا تقطع حديثه بسبب من الأسباب، فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك استعذرته فيه، وأظهرت له عذرك.

وآداب اللسان: أن تكلم إخوانك بما يحبون، وتدلهم على ما فيه صلاحهم، وتسقط من كلامك ما تعلم أن أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيره، ولا ترفع عليه صوتك، ولا تخاطبه بما لا يفهم، وكلمه بمقدار فهمه وعلمه.

وآداب اليدين: أن يكونا مبسوطتين لإخوانه بالبر والمعونة، لا تقبضهما عنهم وعن الإفضال عليهم، ومعونتهم فيما يستعينون به.

---

[1]- فليخبره أنه يحبه لله: قال المناوي- رحمه الله -: فليخبره بمحبته له ندبًا، بأن يقول له إني أحبك لله. أي: لا لغيره من إحسان أو غيره، فإنه أبقى للألفة، وأثبت للمودة، وبه يتزايد الحب ويتضاعف، وتجتمع الكلمة، وينتظم الشمل بين المسلمين، وتزول المفاسد والضغائن. وهذا من محاسن الشريعة" انتهى. (فيض القدير: ٣١٩/١).

وآداب الرجلين: أن يُماشي إخوانه على حد التبع، ولا يتقدمهم، فإن قربه إلى نفسه تقرب إليه مقدار ما يعلم أنه محتاج إليه، ثم يرجع إلى موضعه، ولا يقعد عن حقوق إخوانه، معولًا على الثقة بإخوانهم، لأن الفضيل بن عياض قال: ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة. (آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ص ١٢٢-١٢٣)

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه الإخوان ص ١٣٣ عن بعض الحكماء أنه قال:

" إن مما يجب للأخ على أخيه مَودَّته بقلبه، وتزينه بلسانه، ورفْده بماله [١] وتقويمه بأدبه، وحسن الذَّب والمدافعة عن عِيبَته [٢]".

فياله من دين عظيم! حيث يأمرنا الإسلام ألا ننسى الفضل بيننا، وأن أحدنا لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يسلمه، ولا يحقره.

أليس الإسلام يأمرنا بستر عورات المسلمين، والسعي في قضاء الحوائج، وتنفيس الكربات، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز؟

أليس يأمرنا الإسلام بإفشاء السلام، والرحمة بالخلق، والعطف عليهم، وحسن رعايتهم، والصبر على أذاهم؟

أليس يأمرنا الإسلام بزيارة الأحبة والوفاء للأصحاب، وحسن الظن بهم وغير ذلك من الأوامر والأخلاق والآداب التي بلغت بعلاقة الأخ بأخيه إلى أعلى درجات المحبة، حتى أن الله تعالى أنزل الأخ في الدين والعقيدة منزلة النفس في أكثر من آية فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤)

نقل ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ١/١٣٠": عن سعيد بن جبير عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال الله ﷻ: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي-من ولد ووالد- فيقتله بالسيف ".

وقال ابن كثير-رحمه الله-: " وذلك أن أهل الملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال عليه الصلاة والسلام: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ (البقرة ٨٤) أي لا تخرجون إخوانكم من ديارهم.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٨٥) أي يقتل بعضكم بعضًا.

١ - رفده بماله: الرفد بالكسر هو العطاء والصلة، ورفده بالمال: أي أعطاه إياه.
٢ - العيبة: موضع سر الرجل.

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور: ١٢)

قال ابن عرفة-رحمه الله-: " أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم ".

(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي: ٩٨/٥)

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ (النور: ٦١)

قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري: " يعني: فيسلم بعضكم على بعض ".

(تفسير ابن كثير: ٢٧٧/١٠)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١١)

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة: " أي لا يطعن بعضكم على بعض ". (تفسير ابن كثير)

وقال الرازي-رحمه الله-: " جعلهم كأنفسهم " . (التفسير الكبير للرازي: ٣٨٨/١٤)

وقال السعدي الشيرازي-رحمه الله-:

قال لي المحبوب لما زرته ... من ببابي؟ قلت بالباب أنا

قال لي: أخطأت تعريف الهوى ... حينما فرقت فيه بيننا

ومضى عام فلما جئته ... أطرق الباب عليه موهنا

قال لي؟ من أنت؟ قلت انظر فيما ... ثم إلا أنت بالباب هنا

قال لي: أحسنت تعريف الهوى ... وعرفت الحب فادخل يا أنا

(لا تحزن لعائض القرني ص ٢٥٦)

وقال بعضهم:

أنا أنتَ وأنتَ أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

إيثار وإخاء ومحبة تفوق الخيال

١- موقف الأنصار مع المهاجرين-رضي الله عنهم- أجمعين:

وقد مدح الله ﷻ الأنصار بالإيمان والإيثار **فقال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)

- ***قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره:٤/٣٣٧"*** : وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم وعرف أنفسهم يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: لا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة"

- ***وقال القرطبي-رحمه الله-في تفسيره:٨/٦٥٠٥":*** وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، أي يؤثرون على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم، لا عن غنى، بل مع احتياجهم إليها ". ***وقال أيضًا:*** " والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال، ومن الأمثال السائرة: والجود بالنفس أقصى غاية الجود ". (المصدر السابق)

- ***قال الدكتور بابللي في" كتابه معاني الأخوة في الإسلام ص ٥٠"*** :" هذا الحب لا لصنيعة سبقت من المهاجرين إليهم أو ليد كانت لهم عليهم، وإنما الإيمان بالله الذي وحد بين قلوبهم، وهو الحب في الله الذي جمع بينهم، ففتحوا قلوبهم لإخوانهم في الدين قبل أن يفتحوا منازلهم ". اهـ.

- وقد مر بنا موقف سعد بن الربيع الأنصاري ﷺ مع عبد الرحمن بن عوف ﷺ عندما آخى النبي ﷺ بينهما عندما قدم المدينة، يقول أنس ﷺ: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك"

٢- موقف رجل من أصحاب النبي ﷺ آثر أخاه بطعامه وطعام أبنائه:

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ **أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يضم - أو يُضيِّف- هذا، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة-أو عجب- من فعلكما، فأنزل الله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (الحشر: ٩)

٣- الخليل بن أحمد -رحمه الله- ومواساته لأخيه:

يقول محمد بن مُناذر: " كنت أمشي مع الخليل بن أحمد، فانقطع شسعي، فخلع نعله، فقلت: ما تصنع؟ قال أواسيك في الحفاء ".

٤- أبو محمد المروزي -رحمه الله- وقمة المحبة والإيثار:

يقول مصعب بن أحمد بن مصعب: قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته واستأذنته في الصحبة، فلم يأذن لي في تلك السنة، ثم قدم سنة ثانية وثالثة، فأتيته فسلمت عليه وسألته، فقال: أعزم على شرط: يكون أحدنا الأمير ولا يخالفه الآخر، فقلت: أنت الأمير، فقال: لا، بل أنت، فقلت: أنت أسن وأولى !، فقال: لا تعصني، فقلت: نعم، وكان إذا حضر الطعام يؤثرني فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط عليك ألا تخالفني؟ فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته لما يلحق نفسه من الضرر، فأصابنا في بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير، فقال لي يا أبا أحمد اطلب الميل[١] ثم قال لي: اقعد في أصله فأقعدني في أصله: وجعل يديه على الميل، وهو قائم قد حنا علي، وعليه كساء قد تجلل به، يظلني من المطر، حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة -رحمه الله- " . (آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي -رحمه الله-).

٥- إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- وتضحيته من أجل إخوانه:

" خرج إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- في سفر ومعه ثلاثة نفر، فدخلوا مسجدًا في بعض المفاوز . والبرد شديد، وليس للمسجد باب فلما ناموا قام إبراهيم فوقف على الباب إلى الصباح، فقيل له: لما لم تنم؟ فقال: خشيت أن يصيبكم البرد فقمت مقام الباب " . (التبصرة لابن الجوزي: ٣٠١/٢)

قال علي ﷺ:

إن أَخَاك الحقَّ مَنْ كــان معَـكَ ... ومـن يـضُرُّ نفْسـه لِيَنْفَعَك

ومـَنْ إذا رَيْبُ زمـان صَدَّعَـكْ ... شَتَّتَ فيـه شَمْلَـهُ ليَجْمَعَك

---

١ - الميل: حجر قائم يبني للمسافر للاهتداء به، وبين كل ميل وآخر مقدار مدى البصر.

فداء الأخ بنفسه من أجل أخيه:

وقد قيل: " إذا صح الود، وقع فداء الأخ بالنفس ".

٦- تضحية أبي بكر القرطبي وأبي عمرو الآدمي:

يقول محمد بن داود: سمعت أبا بكر القرطبي وأبا عمرو الآدمي يقولان – وكانا يتآخيان في الله– تعالى–: خرجنا من بغداد نريد الكوفة، فلما سرنا في بعض الطريق، إذا نحن بسبعين[١] رابضين على الطريق، فقال أبو بكر لأبي عمرو: أنا أكبر منك سنًا فدعني أتقدمك، فإن كان حادثة اشتغلا بي عنك، وجزت أنت، فقال له أبو عمرو: نفسي ما تسامحني بهذا، ولكن نكون جميعًا في مكان واحد، فإن كانت حادثة كنا جميعًا، فجازا جميعًا بين السبعين، فلم يتحركا، ومرا سالمين " . (التبصرة لابن الجوزي: ٣٠٢/٢)

٧- أبو الحسين النوري يؤثر إخوانه بالحياة لحظات:

عن أبي العباس بن عطاء قال: سعى ساع بالصوفية إلى الخليفة فقال: إن ها هنا قومًا من الزنادقة يرفضون الشريعة، فأخذ أبا الحسين النوري وأبا حمزة، والدقاق، وتستر الجنيد بالفقه، فكان يتكلم على مذهب أبي ثور فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فبدر أبو الحسين إلى السياف ليضرب عنقه! فقال له السياف: مالك بدرت من بين أصحابك؟ فقال: أحببت أن أوثر أصحابي بحياة هذه اللحظة، فتعجب السياف من ذلك وجميع من حضر، وكتب به إلى الخليفة، فرد أمرهم إلى القاضي إسماعيل بن إسحاق، فقام إليه النوري، فسأله عن أصول الفرائض في الطهارة والصلاة، فأجابه، ثم قال: وبعد هذا فإن لله عبادًا يأكلون بالله، ويلبسون بالله، ويسمعون بالله، ويصدرون بالله، ويردون بالله، فلما سمع القاضي كلامه بكى بكاءً شديدًا، ثم دخل على الخليفة فقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة فما على وجه الأرض موحد. (تاريخ بغداد: ١٣١/٥) (حلية الأولياء: ٢٥٠/١٠)

٨- ولله در الإمام القدوة عابد الكوفة أبي أسماء إبراهيم التيمي وخبره:

قال ابن سعد–رحمه الله–: أخبرنا علي بن محمد قال: طلب الحجاج إبراهيم النخعي، فجاء الرسول فقال: أريد إبراهيم.. فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يدله على النخعي، فأمر بحبسه في الديماس، ولم يكن له ظل من الشمس، ولا كن من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغير إبراهيم، فعادته أمه فلم تعرفه، حتى كلمها، فمات، فرأى الحجاج في نومه قائلًا يقول: مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة فسأل، فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيمي، فقال: حلم، نزغة من نزغات الشيطان، وأمر به فألقي على الكناسة ". (سير أعلام النبلاء: ٦٢/٥) (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٨٥/٦)

١- سَبْعَين: مثنى سبع، وهو من الحيوانات المفترسة.

٩- شهداء اليرموك وقمة المحبة والإيثار بالنفس:

يقول ابن الأعرابي-رحمه الله-:" استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن أبي جهل، وسهيل ابن عمرو بن الحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة جيء لهم بماء وهم في الرمق الأخير فتدافعوه حتى ماتوا، ولم يذوقوه – رحمة الله عليهم –.

فقد جاءوا بالماء لعكرمة فنظر إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال: ابدءوا به، فلما همَّ الحارث بن هشام بالشرب وجد سهيل بن أبي جهل ينظر إليه، فقال: ابدءوا بهذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا: فمر بهم خالد بن الوليد ﷺ فقال: بنفسي أنتم ". (التبصرة لابن الجوزي: ٢٥٩/٢)

ويقول حذيفة العدوي-رحمه الله-:" انطلقتُ يوم اليرموك اطلب ابن عم لي، ومعي شيء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيتُه، ومسحتُ به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أنْ نعم، فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي إليّ أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص، فقلت أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر، يقول: آه، فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات- رحمة الله عليهم أجمعين- ".

(إحياء علوم الدين: ٢٧٤/٣، وذكره القرطبي في تفسيره)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة، وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك